مكتبة مصر

قالبنا المسرحي

توفيق الحكيم



توفيق الحكيم

قالبنا المسرحي

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ـــ محمد ﷺ (سيرة حوارية) ١٩٣٦
٢ ـــ عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
٣ ـــ أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
٤ ـــ شهر زاد (مسرحية) ١٩٣٤
٥ ـــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية) ١٩٣٧
٦ ـــ عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
٧ ـــ تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
٨ ـــ أشعب (رواية) ١٩٣٨
٩ ـــ عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
١٠ ـــ حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
١١ ـــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
١٢ ـــ راقصة المعبد (روايات قصيرة) ١٩٣٩
١٣ ـــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة) ١٩٤٠
١٤ ـــ حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
١٥ ـــ سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
١٦ ـــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
١٧ ـــ تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
١٨ ـــ بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
١٩ ـــ سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
٢٠ ـــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ـــ رسائل) ١٩٤٣
٢١ ـــ الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهرزاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزيــة فى أمريكـــا بدار نشر (ثرى كنتننتـــزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجـم ونشر بالفرنسيـة فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننترا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجـــم ونشر بالفرنسيـــة فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكـم : ترجـم ونشر بالفرنسيـة فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزيــة فى أمريكـــا بدار نشر (ثرى كنتننتـــز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى وندر ونشر دار ماكملان — لندن .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

مقدمة

ما من أحد من المشتغلين بالمسرح أو المهتمين به أو المحبين له لم يسأل عن خلو حضارتنا العربية من هذا الفن .. وقد كثر البحث فى الأسباب التى جعلت هذا الفن يعرف فى بلاد الإغريق والهند وحتى الصين واليابان ، ولا يعرف فى بلادنا قبل القرن الماضى ... ثم كثر الحديث فى أمر استنبات هذا الفن فى بلادنا منذ القرن الماضى عن طريق النقل والاقتباس ، وما أسفر عنه ويسفر عن كشف لشخصيتنا وتوضيح لطابعنا .. ثم توالت الجهود فى سبيل الكشف والتوضيح للشخصية والطابع ، تحاول الربط ولو بخيط نحيل بين هذا الفن الجديد علينا وبعض المظاهر الفنية القديمة فى مجتمعاتنا الشعبية ... ولقد خطر لى كما خطر لغيرى مثل هذه المحاولات ... ففى عام ١٩٣٠ وكنت يومئذ أعمل فى الأرياف كتبت مسرحية « الزمار » مستلهما السامر الريفى ، فجعلت بطلها من زامرى السامر يشتغل فيه بالليل ويعمل ممرضاً بالنهار فى عيادة مفتش صحة بالريف ، فقلب عيادة هذا الطبيب إلى سامر حقيقى ... ثم ظهرت بعد ذلك عام ١٩٥٦ « الصفقة » وهى محاولة لإدخال الفنون الشعبية الريفية من رقص وتحطيب وغناء فى إطار المسرحية وأن تدور كلها فى العراء أو الجرن أو أمام مصطبة ... إلى أن كان عام ١٩٦٢ حيث كانت محاولة أخرى لربط بعض ملامحنا الشعبية القديمة بأحدث مظاهر الفن المعاصر فى « يا طالع الشجرة » وكان تساؤلى فيها

هو : هل نستطيع أن نلحق بأحدث اتجاهات الفن العالمي عن طريق فننا وتراثنا الشعبي ؟ ...

لكن ... كل هذه المحاولات منذ القرن الماضي ، وكل إنتاجنا الأصيل منه وغير الأصيل إنما يتحرك داخل الأشكال والقوالب العالمية .. حتى السامر ذاته وما فيه من مشاهد مسرحية إنما عرف بعد دخول الحملة الفرنسية مصر ، وما جاءت به من تمثيل على النحو الذى وصفه المؤرخ الجبرتى ... وكان هذا كله مساراً طبيعياً — فى رأيى — للفن المسرحى فى بلادنا .. بل إنه المسار الطبيعي لكل فن بشرى : يبدأ الفن دائما من النقل وينتهى إلى الأصالة ، يبدأ من المحاكاة وينتهى إلى الابتكار ... منذ إنسان الكهوف حتى اليوم ... بدأ الإنسان الأول يرسم على الصخور صوراً يحاكى بها أشكال الحيوان ، ثم أخذ شيئاً فشيئاً يبتعد عن محاكاة الطبيعة إلى ابتكار أشكال من خلقه هو ومن صنع خياله وصميم وجدانه ...

هكذاأيضا سار الفن المسرحي لدينا ... بدأ من النقل والاقتباس عن المسرح الأوروبى ... وسارت عملية النقل عن أوروبا ابتداء من مرحلة السامر إلى مرحلة الترجمة والاقتباس إلى أن وصل إلى مرحلة التأليف الأصيل .. وفى هذه المرحلة الأخيرة كان كل ما نصبو إليه هو أن يكون مبلغ أصالتنا احتواء أعمالنا على قدر من الطعم الخاص والرائحة التى تنم علينا ، مع قدر من الإتقان الفنى يشهد لنا به الغير ...

لكن ، بقى مطلب أو مطمع يراود الكثيرين : ذلك هو الشكل أو القالب ... وكان التساؤل هو : هل يمكن أن نخرج عن نطاق القالب العالمى ، وأن نستحدث لنا قالباً وشكلا مسرحياً مستخرجا من داخل

أرضنا وباطن تراثنا ؟...

إن الإجابة عسيرة ... وتحقيق ذلك أعسر ... وإن كان التحقيق على فرض إمكانه يبدو فى نظر الكثيرين قليل الجدوى من الوجهة العملية .. لأن القالب العالمى السائد إنما هو حصيلة جهود متراكمة لكافة الشعوب والأحقاب ، واستخدامنا له فيمن استخدمه من شعوب الأرض فى مغربها ومشرقها ليس فيه غضاضة ، بل فيه النفع والدليل على وجودنا الحى فى قطار الحضارة المتحركة ...

لكن ... مهما يكن من أمر فلا ينبغى أن نقعد عن المحاولة ... ولقد فكرت فى ذلك ورأيت أنه للبحث والتنقيب دأخل أرضنا وتراثنا يجب أن نكر راجعين إلى ما قبل مرحلة السامر ... هناك فقط نكون بعيدين عن كافة المؤثرات الخارجية ... فما هى المرحلة السابقة على مرحلة السامر ؟...

إنها ولا شك المرحلة التى كنا فيها بعيدين جداً عن فكرة التمثيل أو التشخيص ... إنه العهد الذى ما كنا نعرف فيه غير الحكاواتية والمداحين والمقلدين ... فنون بدائية من غير شك ، ولكن الناس وقتئذ كانوا مع ذلك يجدون فيها أخصب المتعة ... كانوا يجدون فى حكاية الحكاواتى للسير والملاحم ، وفى تقليد المقلداتى للأشخاص والمشاعر ما أمدهم بمتعة فنية عوضتهم عن المسرح ... فالتأثير الذى كان يحدثه فى نفوسهم مثل هذه العروض كان عميقاً ... ويكفى أن نذكر ما كانت تحدثه فى نفوسنا ونحن أطفال حواديت جداتنا وأمهاتنا عن الشاطر حسن وست الحسن والجمال ، وما كان يحدثه فى شبابنا الشاعر أبو ربابه بروايته

لحروب أبي زيد الهلالى والزناتى خليفة ... وكيف كان الحضور يتخاصمون من شدة الانفعال ... فريق معجب بأبى زيد وفريق معجب بالزناتى ... وكان الشاعر الحاكي إذا وقف بحكايته عند انتصار أحد البطلين وهم بالانصراف ، صاح به الفريق الآخر وأقعده حتى يروى انتصار بطله هو الآخر ... كل ذلك بلا ملابس ولا ديكور ولا خشبة مسرح ولا تمثيل ... إنما هو مجرد حكاية رجل موهوب يجيد الحكاية قد أحدث فى الناس هذا التأثير العجيب ، الذى قل أن يوجد نظيره فى مسرح حقيقى ، لانعدام الاتصال المباشر بين الحضور والممثلين فوق المسرح ..

هنا إذن المنبع الذى نستطيع أن نخرج منه بشيء ... فإذا أضفنا إلى هذا المنبع الشعبى منبعاً آخر من تراثنا الأدبى فى روايات الأغانى للأصفهانى وفيما ورد عن الجاحظ والحريرى وبديع الزمان وغيرهم من شخصيات ومواقف وحوار — وقد سبق أن نبهت إلى قيمة ذلك كله منذ نحو ثلث قرن — فإننا يمكن أن نخرج برأى فى أمر الشكل أو القالب المسرحى الذى نحاول الكشف عنه ...

وأهم ما ينبغى الالتفات إليه هنا هو أن يكون هذا الشكل أو القالب مصنوعاً من هذه العناصر سالفة الذكر ... كما أنه يجب لكى يسمى قالباً حقيقياً أن يكون صالحا لأن تصب فيه كل المسرحيات ، على اختلاف أنواعها من عالمية ومحلية ومن قديمة وعصرية ... فنحن نسمى القالب الأوروبى أو العالمى قالباً وشكلا لأنه صالح لأن تصب فيه كل الموضوعات والأفكار من الغرب والشرق على السواء ... وكما نصب نحن ، منذ القرن الماضى ، فكرنا وموضوعنا فى الشكل أو القالب الأوروبى أو العالمى فإن

الشرط الأساسي لما يمكن أن نسميه قالبنا العربي هو أن يستطيع الأوربيون بدورهم هم وغيرهم من مؤلفي العالم أن يصبوا في قالبنا العربي أفكارهم وموضوعاتهم ...

وهذا ما حاولته هنا من جعل قالبنا يقوم أساساً على الحكواتي والمقلداتي ... وأحيانا المداح إذا لزم الأمر ... وأضفت من عندي مقلداتية أي مقلدة للأدوار النسائية .. ولن يكون لقالبنا هذا بالطبع خشبة مسرح ولا ديكور ولا إضاءة ولا مكياج ولا ملابس ، فكما كان الحاكي والمقلد والمداح والشاعر يقومون في الماضي بأعمالهم بملابسهم العادية في أي مكان ويحدثون أعمق الآثار ، كذلك مسرحنا هذا سيكون بهذه البساطة ... سنعود به إلى المنبع الصافي الذي يتصل مباشرة بالجوهر ... ففي عصر السينما بمناظرها وملابسها وأضوائها لم يعد أمام المسرح إلا الجوهر : وهو الاتصال الحي بين الفن والإنسان ... إن الحاكي والمقلد والمداح لا ينفصلون عن الناس لحظة ، لأنهم بينهم ، منهم وإليهم ، بنفس الملابس العادية وفي أمكنة عادية وبأسمائهم الحقيقية ... الفن هنا في خالص يقوم

على موهبة مجردة طبيعية لا تحتاج إلى سند من فنون أخرى ... إنها الموهبة العارية من أى بهارج إضافية ...

ولقد تنبه بالفعل بعض رجال المسرح فى أوروبا منذ سنوات إلى ضرورة إبعاد المسرح عن مجالات المنافسة مع السينما الطاغية ، فأخذوا يسطون فى عمليات الديكور ويكتفون فى العروض ببعض الستائر والمدارج الخشبية وبعض الخطوط الرئيسية ، مبتعدين عن البهرج الزائد ، ولكن ذلك كله كان بالطبع فى حدود القالب المسرحى المعروف ... كما أن العودة إلى المنابع البدائية فى الفن للاغتراف منها واستلهامها قد تنبه إليها أيضاً أصحاب المدارس الحديثة فى الفن العالمى ، سواء فى الفنون التشكيلية أو الموسيقية أو حتى الشعرية والفكرية ، وسواء أكان المنبع البدائى فى شعوب وقارات أم فى هبات أطفال ... فالبدائية لم تعد تدل اليوم على جهل أو قصور بقدر ما تتكشف كل يوم عن مدلولات للتفوق تثير الدهشة ... فالفن البدائى أقرب إلى أن يكون فناً سماوياً ... أى أنه نابع مباشرة من منبع عجيب لحيوية دافقة وقدرة فى التعبير والخلق مجهولة المصدر ..

فلا غضاضة إذن فى البحث والتنقيب داخل ماضينا السحيق لننفض الغبار عما يمكن أن يصلح لعصرنا الحاضر ، وعما يمكن استخدامه لحمل آثار الحضارة التى نعيشها ...

فنحن إذن ببعثنا الحاكى والمقلد والمداح وجمعهم معاً سنرى أن فى استطاعتهم أن يحملوا آثار الأعلام من اسخيلوس وشكسبير وموليير إلى إبسن وتشيخوف حتى بير اندللو ودورنمات ... كما أن فى استطاعتهم أن يحققوا الأمل الذى طالما تمناه الجميع فى كل مكان وهو : « شعبية الثقافة

العليا » أو بعبارة أخرى هدم الفاصل بين سواد الشعب وآثار الفن العالمى الكبرى ... فإن هؤلاء الثلاثة وحدهم بملابسهم العادية ، ملابس العمال فى بيئة مصانع ، وملابس الفلاحين فى بيئة حقول ، يستطيعون أن يتحركوا بسهولة ويذهبوا إلى أى مكان ، بغير ديكورات ولا إكسسوار ولا ملابس ولا بهارج .. بمجرد نصوص عظيمة فى رؤوسهم وقلوبهم ، يندسون فى طبقات الشعب حاملين للجميع بأبسط الوسائل أخلد ثمار الفن والفكر ...

ولقد اخترت فى هذا الكتاب نماذج قصيرة لبعض هذه الآثار المسرحية الكبرى بعد صبها فى قالبنا العربى هذا ... وأنا غير غافل عن صعوبة سوف تعترض التنفيذ : إنها إيجاد المقلد الموهوب ... فالمقلد غير الممثل ... إن الممثل يتقمص الشخصية ... ولكن المقلد عمله عكس التقمص ... لأنه يتقدم إلينا شخصاً عادياً باسمه الحقيقى ، ثم يرسم لنا الشخصيات تحت أعيننا رسماً واعياً ، مع احتفاظه طول الوقت بشخصيته الحقيقية ، مثله مثل النحات أو المصور أو الرسام الذى يباشر عمله فى حضورنا داخل معمله ، ويسمح لنا بأن نتابع العجينة فى يده وهى تتشكل ، أو الألوان وهى تتناسق ، أو الخطوط وهى تبرز الملامح ... إنه عمل عجيب ممتع ... ويكفى أن نتصور مثلا ليوناردو دافنشى وهو يصور فى حضورنا ابتسامة موناليزا الغامضة !... ونتابع يده وهى تتحرك أمامنا حية لتحدد السمات وتظهر المعانى ...

إن المقلد هنا يحتاج إلى موهبة وبراعة أكثر مما قد يحتاج الممثل ... لأن الممثل ، حتى ولو كان من الكبار جداً والمشاهير ، قد يكون أسير أسلوبه

فيمثل أى دور كأى دور ، معتمداً على مزايا صوتية وإلقائية وحضورية حددته وجعلته فى شخصية فنية ثابتة فرضت نفسها على الجماهير ... أما المقلد فهو يتحرك بسرعة بين شخصية وأخرى فى نفس الوقت ، وعليه أن يبرز معالم كل شخصية واضحة جلية مفروزة عن غيرها بكل سماتها وإشاراتها ونبراتها ولازماتها وكوامن مشاعرها وتفكيرها ... كل ذلك مع عدم تقمصها ... فهو داخل فيها ومبتعد عنها فى نفس الوقت ... لأنه موجود بيننا فعلا بشخصيته الحقيقية وملابسه العادية واسمه الحقيقى ... إنه يمسك بريشة سحرية خفية ليقول لنا : « أنا فلان الفلانى ولكنى سأريكم الآن من هو هاملت ؟ ... انظروا جيداً !... » ونحن عندما ننظر إليه وهو يشكل الشخصية ويخلقها نشعر أننا أيضاً فى قرارة أنفسنا قد شاركناه فى نشاط الخلق وارتفعنا عن مستوى الفرجة النائمة ...

من هنا كان قالبنا هذا ، مع أن منبعه بدائى ، يتصل بأحدث نظريات المسرح المعاصر ... فمن هذه النظريات ما يقول إن جمهور اليوم قد شب عن الطوق وبلغ النضج والوعى الذى يرفض معه فكرة « التمثيل عليه » أى فكرة الإيهام المسرحى ... فهو لا يكتفى بأن نقدم له اللعبة ولكنه يريد أيضا أن نقدم له كيف صنعت اللعبة ... إنه يريد أن يرى الثوب وبطانة الثوب ... إنه يريد أن يشارك فى الخلق ، ولو بمتابعة أسرار الخلق ... إنه لا يكتفى من الحاوى برؤية خدعه ، ولكنه يريد أن يريه الحاوى كيف صنع الخدعة ... ولذلك لجأت بعض المسارح هناك أخيراً إلى أن تركب الديكورات فى حضور الجمهور بعد فتح الستارة وأثناء العرض لا قبل ذلك ...

فالمقلد عندنا إذن إنما يقوم بكل ذلك ، هو والحاكى ... فهما يعرضان أمامنا كل اللعبة على المكشوف ..وأقول « اللعبة » لأنهم كانوا عندنا بالفعل يسمون فى الماضى هذا العرض « لعبة » تأكيداً الناس أن هذا الفن لا يريد إيهام أحد ... ومن الغريب أن المسرحية فى اللغة الإنجليزية تسمى كذلك « لعبة » — وعلى من يريد البحث أن يتحرى عن أصل ذلك — وفى الفرنسية أيضاً يلعب بمعنى يمثل ... على أن كل هذا لم يمنع من أن الفن المسرحى هناك إنما يقوم على الإيهام والتغطية ...

على أن الحاكى فى قالبنا يمكن أن تسند إليه مهام أخرى مختلفة ... فهو يمكن أن يكون مدير العرض الذى يراقبه ويوجهه علناً أمامنا ، كما أنه يمكن أن يكون المخرج الذى يساعد المقلد قبل العرض على تفهم الشخصيات وملامحها الظاهرة والباطنة ودراسة تفصيلات كل حركة ونبرة وإيماءة تميز إحداها عن الأخرى ... كما يمكن التوسع فى عمل الحاكى فنحمله مهمة تفسير بعض المعانى والمواقف والأفكار العسيرة ، وخاصة فى البيئات الشعبية التى قد تحتاج إلى ذلك ... كما يمكن أن يساعد المقلد أثناء العرض فى كل ما يحتاج إلى وجود شخص آخر ... إن إمكانات تطوير هذا القالب لا حد لها ... على شرط أن نبقى على أساس فلسفته ، التى يختلف فيها عن فلسفة القالب الأوروبى : وهى أنه يقوم على فكرة التقليد وليس على فكرة التمثيل ...

ولعل ذلك نتج عن المعتقدات الدينية فى تلك العهود ... ربما كان من المكروه أن يتقمص شخص شخصية أخرى أو يحل فيها حلولا تاماً ، بمعنى أن يظهر على الناس فى صورة وثوب تلك الشخصية .. فلجأ الفنان إلى

وسيلة التقليد ... بمعنى أنه لا تقمص ولا حلول ... إنما هو كشف عن سمات وملامح وكوامن ...

هذا ومن مزايا قالبنا أيضا أنه خير مدرب لطلبة التمثيل فى المعاهد ... فكما يدرب اليوم طلبة البحرية على معرفة أسرار الملاحة واتجاهات الرياح فوق مراكب شراعية ، فإن خير تدريب على تمثيل الأدوار المختلفة هو قالبنا هذا الذى يفرض على المقلد الواحد أن يدرس أسرار مختلف الشخصيات فى المسرحية الواحدة ، ويحاول أن يبرز ملامح وسمات وكوامن كل منها واضحة مفروزة ...

إنه فن مركز ... تتركز فى ثلاثة فنانين فقط كل قوة التعبير والخلق التى تقوم بها فرقة عديدة الأفراد كاملة المعدات ... لذلك يمكن أن تسمى قالبنا هذا : « المسرح المركز »

ولما كان الفن فيه يقوم كذلك على التقليد التشريحى للشخصيات فإنه يمكن أيضاً أن نسميه : « المسرح التشريحى »

وبعد :

فقد يقال أخيراً أن قالبنا العربى هذا ليس فى حقيقته مسرحاً بالمعنى المفهوم ... والواقع أن هذا لم يعد يضيرنا الآن فى شىء ، بعد أن قامت فى أوروبا اليوم اتجاهات جديدة تحاول كلها تقويض فكرة المسرح كما يعرفه الناس ... فظهر ما يسمى :

اللامسرح أو anti-theatre

وما يسمى بالـ happening وما يسمى بالـ Living ... ونحو ذلك مما ظهر وسوف يظهر لتغير الفكرة المألوفة عن المسرح ... وإذا كانت هذه

الاتجاهات الحديثة ترمى هناك كلها أو بعضها إلى مجرد التغيير أو الرغبة فى الجديد دون أن تتضح لها فائدة عملية ، فإن قالبنا هذا له على الأقل هدف عملى نبيل هو : تبسيط الوسيلة التى تحمل بأقل تكاليف أرق آثار الفن والذهن الإنسانى إلى الشعب كله فى أحيائه وقراه ... ومن أجل هذا الهدف ربما كان لنا أيضاً أن نزعم أن هذا الشكل أو القالب لايحل مشكلة : « المسرح للشعب » فى بلادنا وحدها بل كذلك لكل شعب آخر فى العالم .. فى أصغر مصنع وأصغر قرية ...

على أنى بعد ذلك أريد أن أنبه بوضوح إلى أنه ليس معنى المناداة بهذا القالب الانصراف عن القالب العالمى المعروف وما يسير فيه من اتجاهات وتطورات ... بل على النقيض ، فإنى إلى جانب ذلك أنادى أيضاً بالاحتفاظ فى نفس الوقت بالخط الذى سرنا فيه حتى الآن من معاصرة الفن المسرحى العالمى حتى لانفصل عن الركب الحضارى العام فى جميع خطواته وتطوراته ...

١٩٦٧ (ت . أ)

مأســاة

أجاممنــون

للشاعر التراجيدى

اسخيلوس

ترجمة وتقديم الدكتور لويس عوض

الحاكى : أنا الحكاواتى ...(**يذكر اسمه الحقيقى**) أعـرض عليكم اليوم لعبة للمؤلف الشاعر اسخيلوس اسمها أجاممنون ... كان ياما كان ياسعد ياإكرام ملك يدعى أجاممنون على بلد يسمى أرجوس ... ذهب هذا الملك إلى حرب طرواده ... ثم عاد منتصراً ... وفى غيبته اتخذت زوجته المسماة كليتمنسترا عشيقاً يدعـى إيجيست ... فلما عاد زوجها أجاممنون استقبلتـه بالترحاب ، ولكنها أضمرت له الشر .. ودخلت معه الحمام لتعاونه على الاغتسال ، وغافلته وقتلته بطعنات خنجر ... وخلالها الجو مع عشيقها ... واستقرت معه على سرير الخنا والحكم ... سنرى الآن كيف أبرز اسخيلوس الشاعر الإغريقى القديم هذه الفاجعة ، وذلك من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية مع إنشاد المداح ... تقدم أيها المقلداتى أولا وقل للحضور الكرام من ستقلد .. وابدأ بالتعريف بنفسك ..

المقلد : أنا المقلداتى (**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد أجاممنون

وإيجست والديدبان وقائد الكوراس ...

الحاكى : وأنت يا سيدتى ... عرفينا بنفسك وعملك ؟..

المقلدة : أنا المقلداتية ...(**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد كليتمنسترا وكاساندرا سبية أجاممنون ..

الحاكى : وأنت أيها المداح ؟ ... ما اسمك وعملك ؟..

المداح : أنا المداح(**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقوم بنشيد الكوراس من شيوخ أرجوس ... أنشد الشطرة وجواب الشطرة ...

الحاكى : عظيم ... عظيم ... فلنبدأ اللعبة ... وهى تبدأ أمام قصر أجاممنون فى أرجوس ... قبالة القصر تماثيل الآلهة ومذابح أعدت لتضحية القرابين ... نحن فى الليل ... وعلى سطح القصر يمكن استبانة ديدبان حارس .. اشرع الآن فى العمل أيها المقلد ، وقلد لنا الديدبان وما يناجى به نفسه فى جوف الليل ..

المقلد : أضرع إلى الآلهة أن تنقذنى من هذا العناء ، فتريحنى من وقفتى الساهرة هنا طوال هذا العام المديد ... هأنذا

أرقد كما يرقد الكلب الحارس ، متكئا على ذراعى على سطح القصر ، قصر آل أتربوس .. لطالما راعيت جمهرة النجوم وسط الليل ... لطالما تأملت بها أرباب الضياء التى تتلألأ ساطعة فى أديم الجوزاء وتهدى بنى الإنسان فى رحلة الصيف والشتاء ... هأنذا أرقب إشارة المشعل ، علامة النار التى ستأتى بالكلمة من طرواده هاتفة : لقد سقطت طروادة ! .. بهذا الأمل العظيم يخفق فؤاد الملكة كليتمنسترا ذات الجنان القوى ، لها قلب الرجال ... ليلى ساهر وفراشى بلله الندى فلا تراوده الأحلام ... واهاً لى ! ... الخوف شاخص بجوارى يحدجنى طول الليل بدلا من رب النوم ، فلا أستطيع أن أطبق جفنى على سنة أو سبات.. وكلما أردت أن أغنى أو أهمهم بالصفير لأستعين بسحر النغم على ليل السهاد ، ناحت روحى وقالت : واهاً على هذا البيت الحزين الذى لم يعد يظله الشرف كما كان فى القديم ... أما الآن فكلى أمل أن يفك إسارى

حين تسطع نار النبأ السعيد فتشتت قطعان الظلام ..

الحاكى : ها هو ذا بالفعل يظهر ضوء مشعل فى الأفق البعيد أحمر النيران ... إنها البشرى المنشودة ..

المقلد : مرحى ! .. مرحى !... ياسراج الليل ... يا من جلوت أطباق العتمة بنور النهار ... يا من ستملأ البشرى أرجاء أرجوس بالرقص الكثير ... سأنادى بأعلى صوت : يا مليكتى .. يا مليكتى ! ... لأوقظ زوجة أجاممنون فتهب من فراشها على وجه السرعة ، وتصيح طربا لمرأى هذا اللهيب الذى يعلن سقوط طروادة ... سأكون أول الراقصين لهذه البشرى السعيدة ... زهر سيدى ألقته يد المقادير بالحظ السعيد ... فما أسعد حظى بضياء هذا المشعل ... فياليت حظى يسعدنى بأن أشد مرحباً على يد مليكى ومولاى سيد هذا القصر عند قدومه ... ولكن فليصمت لسانى عن كل ما يجرى فى أرجاء القصر ، كأن على لسانى نيراً ثقيلا ... لو أن للقصر لسانا لتحدث عن

نفسه وروى حكايته ببليغ الكلام ... لن أخاطب إلا من يعرفون الأسرار ... أما لمن يجهلون فذاكرتى لوحة مسحتها يد النسيان ...

الحاكى : يخرج الديدبان الآن ، ليعلن البشرى ولا شك ... ويدخل كوراس من شيوخ أرجوس ، كل منهم يتوكأ على عصاه ... تقدم الآن أيها المداح وقم بنشيد الكوراس ..

المداح : (ينشد) دارت على الأبطال والكماة

رحى القتال عشر سنوات

مذ خرجت جحافل الغزاة

تثأر من طروادة العصماء

لخطفها هيلانة الحسناء

لعشرة مضت من الأعوام

تأهبت مدينة بريام

للرمح والقنا وللضرام

للقوس والنبال والحسام

ساق لها مـــن شاطـــئ الإغريـــق
أجاممنـــــون ذو المجد العريــــــق
والعاهـل العـظيم منيــلاس
ألف سفينـة مـن الـرواسى
وحشد الفتيــان مــن أرجـــوس
العاهـلان سبـط اتريــوس
بنعمـة السمـاء مــن زيــوس ...
وصيحـة القتـال كالهديــر
شقت عنان الجو بالنذيــــر
مثـل عويـل الصقـر والنسور
قـد حـومت بخافـق الجنـــاح
فـــوق ذرا الجبــال والريـــاح
تـــكلى على أفراخهـــا الصغيرة
ولهى على هيلانـــــــــة المنيرة
لكـــــن مصغيـــا فى الأربـــاب :
أبولـو ذا السهـــام والـــنشاب

أو بـان أو زيـوس فى عـلاه
رق لها الإلـه فى سماه
فـأرسل الرعـود والزبانيـة
للثأر مـن طـرواد وكـر الزانية
وهكـذا أمضى لنـا زيـوس
العاهـلين نسل اتربـوس
ليطلبا دم الأمير المغتصب
باريس موقد الضرام فى الحطب :
زين لهيلانـة الغوايـه
فـر بها فبـدأ الروايـة :
مـن أجـل مـن تـزوجت زوجين
ووهبت فراشها بعلين
خط زيوس قـدر اليونـان
وآل طـروادة فى الزمـان
بأحرف من الدم المهـراق
والدمع لا يجف فى الآماق

وكتب الجهـاد والقتـالا
طـول الجلاد أنهك الأبطـالا
يوم جثا الرماة فوق النقـع
وامتـزج الثرى بغـالى الدمـــع
واهتـزت الرمـاح يـــوم الهول
وصلصلت لها دروع الخيـــل ...
لكـن مـا يـراد لا يـــرد :
لا بد مما ليس منه بـــد
وكل أمـر غيبـه مسطـــور
يجرى بما قد قدر المقـــدور
زيوس غاضب على الأحياء
ولـن يزيـــل لعنـة الآبــاء
مهما جرت جداول الدمـــوع
مهما بكينا مشهـد الربيـع
مهمـا أرقنـا الخمـر والقربانـا
على القبور نرتجى الأوثانـا

زيوس غاضب على العباد :
الثأر أعمى سيد البلاد
أجاممنون لحظة العناد
قدم بنته وفلذ صلبه
ونور عينه وحب قلبه
إيفيجنيا زينة العذارى
وزهرة الوديان والبكارى
ذبيحة لمارس رب الحرب
(قربانه الملعون أدمى قلبى)
حتى يرق ملك الرياح
ويدفع الأسطول فى سماح
فيمخر الخلجان والبحارا
إلى الجلاد طالبين الثارا
ويغسل الإغريق هذا العارا
نحن شيوخ الأرج واليونان
هيكلنا مهدم البنيان

نمشى على العصا نتسوكا
دنا إلينا القبر ما تلكّا
مذ تركتنا رفقة السلاح
وزهرة الشباب والكفاح ..
فى برجه لا يرصد المريخ
ولا يراه الشيب والشيوخ
أوراقنا كورق الخريف
تساقطت قبل الردى المخوف
سحابة كالحلم الشفيف
جئنا ونمضى كالندى الخفيف
لكن صهٍ .. ما هذه الطقوس ؟ ..

الحاكى : فعلا ... هى طقوس ... فقد ظهرت كليتمنسترا فى الخلف توقد النار على المذابح ...

المداح : (**مستأنفا**) ماذا جرى يا بنت تنداروس ...
يا من ليست التاج فى أرجوس ؟ ..
مليكتى الغراء كليتمنسترا ..

ماذا جرى ؟ ... ماذا دهاها يا ترى
هل جاءت الأنباء من بعيد ؟..
الليل ليس من ليالى العيد ...
تقدمين المر والنذورا

وتحرقين الطيب والبخورا :
هل جاءت الأنباء يا مولاتى
محرقة القربان فى المحراب
نيرانها تصعد للأرباب
آلهتى حارسة البلاد
حامية السماء والعباد
وبالطيوب ضمخوا القربانا
وأسكروا بالصندل الأوثانا
وقدمت مليكة الحواضر
أعز ما تملك من فطائر ...
مليكة الإغريق ... يا مولاتى ..
اليأس ران فى دجى حياتى ..

تكلمى بما تبيح الآلهة

تشفى قلوب اليائسين الوالهة ...

فما رأته العين من قربان

جدد حولى سندس الأمانى

وذب صقر اليأس عن جنانى

الحاكى : والآن أيها المداح أنشد الشطرة الأولى ...

المداح : أنا من ينشد أمجاد القتال

كل الأبطال غاراً وقلائد

ونشيدى وحى أربابى العوالى

يلهم الوثبة فى وجه الشدائد

سيدا أرجوس سلطانا أخايا :

أجاممنون انبرى ومنيلاس

يحشدان الجند فى أرض المنايا

زهرة اليونان أبطال هيلاس ..

خرجوا للثأر غابا من رماح

فإذا نسران فوق القصر طارا

ملكـــا الجوزاء همّا بالجنـــاح :
أقتم الريش كما الإعصار ثارا .
أبلـج القـادم سبـاق الريـاح .
وإذا الـنسران تحت المخلب
عـن يمين الـقصر مثـل الساعات
مزقـا كالـوحش أنثـى أرنـب
بطنها حـبلى بسرب مـن بنــات :
قالت اليونان فأل الـنصر آت ..
وعقابا البحـر ، سلطانـا أخايــا ،
مزقا طرواد فى يوم الرزايـا
نحن ياليل ويـا عينـى الحزينــة
لـيت هـذا الليـل يـأتى بالسكينـة

الحاكى : وعليك الآن يا مداح بإنشاد جواب الشطره ...

المداح : ورأى العراف أن العاهلين ..
ولدى أتريد ، ليسا من نسيــج ؛
أدرك العــراف أن القائديـــن ،

وهما النسران هَمّا فى الخليج ،
فاتحا طرواد غصت بالكماة ..
صرخ العراف فى الجمع ونادى :
هذه رؤيا وفأل السانحات
فاسمعوا تأويلها بالوحى جادا :
« جاءت الأقدار بالوعد الأمين
هذه الغزوة ويل وثبور
لبنى بريام فى الثغر الحصين ،
شامخ الأبراج عملاق الثغور
« غير أن الكنز يربو فى الخزائن
وجبال المال تبر ونضار
تملأ الأبراج فى أم المدائن
سوف تذروها أعاصير الدمار..
« يا بنى هيلاس : حذارا وحذار ..
ربة الصيد إذا هاج الوطيس
وقت الأعداء ويلات الدمار

وحمتهم من لظى الحرب الضروس
« ربة الصيـد ديانـا أرتميس
تبغض النسرين عاشا فى حماها
هى أم القنص تحنو للقنيص
وتذب الباز يسطو فى سماهـا
ربـة الصيـد ديانـا أرتميس
تبغض النسرين سبطى أتريوس
نحن يا ليل ويا عينى الحزينـة
ليت هـذا الليل يأتى بالسكينة

الحاكى : وبعد ذلك يأتى نشيد ..

المداح : (**ينشد النشيد**) الربة الجميلة الرحيمه
تكلأ شبل الليث فى الآجـام
وتكـلأ الرضيـع والفطيمـه
وتكـلأ الجنين فى الأرحـام
الربـة العفيفـة العـذراء
ذات كـلاب الصيـد أرتميس

منـــزلها الأقمـــــار والآلاء
نادت أبا السماء « أي زيوس !.. »
« يا أبت : يا صاحب الآلاء :
إن كنت قد قدرت لليونـان
أن يسحقوا طروادة العصماء
فليمش فيها قـدر الديـان :
« لكننـي أدعـو أبـا الآلاء
وهـو أبي ومـلك الزمـان
أن يعطي النصر بلا سخاء
أن يكتوي بالمحنة السنسران ..
فيا أبولو ، يا سنا حياتي
يـا شافي الجراح والنـدوب
هذي صلاتي ، فاستمع صلاتي :
« اكبح جماح الربة الغضوب
« كي لا تعود تنسج الشباكا

تغلـــل البحـــار والمدائـــن
لتوقــف القتــال والعــراكا
وتحبس الريــاح والسفائــن
« فيفـزع الإغريق للأربـاب
ويـذبحوا زلفـى لها ذبيحـة
عذراء لم تذق جنى الشبـاب
كإيفيجنيا البضة الصبيحـة
يابئس قربان وحش الغاب ...
« وأرتميس ربــة الطــراد
زارعــة الشقــاق والخصام
تبذر حب المقت والأحقـاد
بين ذوى الأصلاب والأرحام
ظمآنــة للــدم والجلاد ...
كالكأس وهو سيد الـرواة ،
أنشد فى بــلاط الأمــراء
مـا خـطت الأقـدار للغـزاة

منذ استوى النسران فى السماء
« نحن يا ليل ويا عينى الحزينة
ليت هذا الليل يأتى بالسكينة

الحاكى : والآن الشطرة الثانية ..

المداح : أى زيوس : يا إلهى ومجيرى :
أيها المحبوب بالستر العجيب
باسمك الغالى أنادى يا نصيرى
أى أسمائك أدعو فتجيب ؟ ..
فى شعاب الفكر ضلت قدماى
ناء قلبى تحت أرزاء الحياة
لم أجد غير طريق لهداى
يبرئ الأسقام لا درب سواه
أن أنادى : يا زيوس فى سماه
أيها الواحد : يا أعلى إله
خاتم الأرباب : يا طوق النجاة
لك ترجى الحمد فى كل صلاه

الحاكى : وجواب الشطرة الثانية ...

المداح : كان أورانوس فى العرش القديم
يحكم الكون كجبار عنيد
فهوى من حالق مثل الرجيم
أفل الكوكب من عرش الوجود
وتردى، فاستوى فى العرش ثان
دوخ الأفلاك تحت الصولجان
قيد الأشياء فى بعد وآن
فكرونوس كان سلطان الزمان
وهنا جاء زيوس ذو الجلال
ورمى الثانى بمجد من ضياه
فانطوى كالظل فى السمت وزال
وعلى العرش استوى رب الحياه
أيها القهار بالحكمة ساد
أيها الجالس فى قلب العباد
كل من أنشد بالألحان مجدك

كل من أعلاك فى الأكوان وحدك
كل من خلد بالأشعار نصرك
وأتى باب زيـوس غير مشرك
فهو مهدى وهـاد وحـكيم
وهو يمشى فى الصراط المستقيم

الحاكى : الشطرة الثالثة ..

المداح : ملهـم الحكمـة يهدى ويقـود
علـم الحكمـاء نهج الحكمـاء
خط للإنسان ناموس الوجود :
لا يصيب الرشد إلا بالشقاء :
فى رؤى الليل وأحلام السبات
تهطل الآلام فى الروح غزيره
وتغطى قطـرات الذكريـات
صفحة الروح كأنوار مطيره ..
وعلى فيض الدموع المرسلات
وصراع اللج فى النفس الحزينة

تبلغ الروح بأوزار الخطاه
مرفأُ الحكمة ميناء السفينة
حيث ترسو بين خلجان أمينة :
هبةَ المولى لأبناء الحياة
عرش ربى فى السموات الحصينة
نعمة الآلام منجاة العصاه

الحاكى : وجواب الشطرة الثالثة ...

المداح : أجاممنون عظيم ومهيب
سيد الإغريق فى اليوم الرهيب
ما نهى العراف عن قول كئيب
عندما حلت على القوم الخطوب
بركود الريح فى عرض البحار
سفينة اليونان حطت فى اصطبار
عسكرت فى شط أوليس تحار
كيف تجتاز لكالسكيس المدار

الحاكى : والشطرة الرابعة ...

المداح : ومن استريمون فى أقصى الشمال
هبت الريح بأنفاس عجال
تدفع الموج إلى شط الوبال
قيد الأسطول من غير حبال
هى روح الشؤم باليأس تسير
تنشر القحط كما تلقى البذور
تقذف الملاح فى أقصى البحور
شلت الأسطول والحشد الغفير
وهنا جمجم عراف الغيوب :
لكم الويلات من هذى الخطوب
أضمر الغيب لكم شر البلاء
داؤها أهون من هذا الدواء
لا نجاة من عوادى أرتميس
ربة الخوذة والرمح النفيس
لا تفك السفن من أسر الرياح
دون قربان عزيز لا يباح

فدية أفدح من بذل الدمـاء :
ليتها تطلب بحراً من دمـاء !..
ولـدا أتريـدَ لما استمعـا
رغـم مجد الملك سالا أدمعـا
ضربـا الأرض بحد الصولجان
شكيـا لله مـن عسف الزمـان

الحاكى : وجواب الشطرة الرابعة ...

المداح : أجاممنون أخـو التـاج الأغـر
صاح: يا ويلى!. ويا ويل هيلاس
كيف أعصاه؟. ويا هول المآسى!.
إن أطعت الأمر ، يا بئس المآل
لوثت كفى دماء لا تـزال
بيدى قدمت بنتى كالذبيحة
زينة البيت وعذرائى الصبيحة
وعلى الهيكـل قربـانى لـعين

جلجلت لعنتــه عبر السنين
أو عصيت الأمر ، يا بئس المآل
خنت قومى حين هبوا للقتال
وتنكــرت لعهــد الحلفــاء
حشدوا الأبطال جاءوا بالولاء :
وغداً يزأر أبطـال هيـلاس :
دمها أم دم أعـداء هيـلاس :
قـدم العـذراء قربـان البــلاد
تهدأ الربـة ثـارت للأعــادى
تسكن الـريح وتجرِ الجاريـات
يبلـغ الأسطـول ميناء العـداة

الحاكى : الشطرة الخامسة ...

المداح : هكذا المسطور فى لوح القـدر
أجاممنـون ارتـدى نير القضاء
لم يعـد يهتـز مـــن خير وشر
لم يعد يأمل فى لطف السمـاء

روحه اسودت،وقد كانت مضيئة
بات لا يبصر غير المجد نورا
وشرى المجد بعذراء بريئة
مجد هيلاس ابنى إفكا وزورا
لوثة المجد كأحلام الجنون
تنبت الأشواك فى القلب الحزين
تطمس الألباب بالرأى المشين
تملأ النفس عناداً لا يلين
هكذا سيد هيلاس الكريم
شاء أن يغتال عذراه الصبيحة
فى سبيل الحرب والغزو العظيم
ويضحيها كما الشاة الذبيحة
فى سبيل الثأر من أجل هيلانة
خرج الإغريق رمحا واحدا
وأجاممنون لم يرض الخيانة
فى سبيل الثأر خان الواحدا

الحاكى : وجواب الشطرة الخامسة ...

المداح : وإلى الهيكل جاءوا بالفتاة
وهى تبكى لأبيها فى ضراعة
فإذا الأبطال أصلاد قساه
ومع الأبطال لم تجد شفاعه
أنشد الكهان قداس الصلاه
وبأمر من أبيها لا يرد
رفعوا البنت كما ترفع شاه
فى إزار الموت مرضاة الجسد
وعلى المذبح بين الصلوات
كمم الكهان أشداق الفتاه
خوف أن تلقى رهيب اللعنات
لحظة الموت وبين الحشرجات
وتنادى رب كل الكائنات :
« لعنتى حلت على رأس أبى
لعنتى حلت بآل أتريوس »

وعلى اليونان حمر المخلب لعنتى
حلت على الحرب الضروس »

الحاكى : الشطرة السادسة ..

المداح : ثوبها المفهاف فى الأرض تدلى
فاقع الصفرة مثل الزعفران
حدجت كل الجناة تتملى
عينها من قاتليها فى حنان
وكساها الحزن حسنا من سناها
مثل تمثال جميل وكريم
وعليها ذكريات من صباها
لأبيها وهى تشدو كالنسيم
فى فناء القصر فى البهو العظيم
تطرب الأضياف فى فخم المآدب
وعلى الأوتار تشدو بالمناقب
زهرة بيضاء فى طهر العذارى
وشذاها البكر من نفح البكارى

كم شدت فى مجد مولاها الحنون
لأبيها سبحت فى كل حين ،
إذ رأته يحتسى كأس السعادة
يشرب الأنخاب تترى فى عبادة
لزيوس الرب فى أعلى عليين
عرشه الأمجد فوق العالمين

الحاكى : وجواب الشطرة السادسة ..

المداح : لا تسل: ماذا جرى من بعد هذا؟.
لا تسل: كيف صارت ثم ماذا؟.
أنا عينى ما رأت من بعد شيا
ولسانى صامت ما دمت حيا
إنما العراف كالكأس الرهيب
يكشف الستر وألواح العيوب
كل من ذاق عذاب الهم صابا
أوتى الحكمة منه وأصابا
لطف ربى وزع العدل حسابا

خصص الرؤيا لمن ذاق المصابا
أيها الغيب ! .. تحجب ما تشاء
كل آت سوف يأتي بالقضاء
إنما الرؤيا عذاب ووجيعة
ومذاق آجل قبل الفجيعة
كل فجر صاغ للشمس دموعه
فكفانا شقوة اليوم الفظيعة
ووداعا ، أيها الغيب ، وداع
ولنصل ، نحن أشياخ الرعاع
وبنى أيسوس حراس القلاع
ليت هذا الليل يأتي بالضياء
ليت هذا اليأس يتلوه الرجاء

الحاكى : ها هى ذى كليتمنسترا تترك المذبح وتتقدم ... تقدمى أيتها المقلداتية ... يا من ستقلدين هذه الملكة .. وتقدم أيها المقلداتى ... لتقلد قائد الكوراس وهو يستقبلها ..

المقلد : (**قائد الكورس**) حَيِيت يا صاحبة الجلالة ،

مليكة البلاد كليتمنستسرا :

فى غيبة العاهل ذى الجلالة
عن عرشه الخالى كعرش المشترى
لا بد أن تقدم التحايا
لزوجه الخطيرة السجايا
هل جاءت الأنباء من بعيد
بالنبأ المؤكد الأكيد ؟ ..
أم يا تراه أمل كذوب
وسيد البلاد لا يئوب ...
أضرمت كل هيكل مجيد
باللهب المقدس السعيد
تكلمى مليكتى وقولى :
هل عاد فى موكبه الجليل ؟ ..
أو فاصمتى إن شئت عن أنباء
فلن ألوم الصمت من ولائى ..

المقلد : أقول مثلما يقول المثل :

فليخرج الصباح كالوليد
من بطن هذى الليلة الثقيلة
مثل غلام فاض بالسعادة
النبأ السعيد قد تجاوز
أرحب ما عرفت من آمال
فاطرب وخل الحزن لسماعه
أبطال أرجوس العظام اقتحموا
طروادة العصماء وسبوها
وحطموا مدينة بريام

المقلد : ماذا تقول الملكة المهيبة ؟..
أنباؤك الرائعة العجيبة
تملؤنى بالدهشة الغريبة

المقلدة : أقولها واضحة :
استسلمت طروادة
وسقطت فى يدنا

المقلد : من فرط فرحتى جرت دموعى

ودقت الأوتـار فى ضلوعـى

المقلدة : سيماك تنبى بولائك العظيم ..

المقلد : أى دليـل باليـقين جـاء
يثبت ما عندك من أنباء ؟ ..

المقلدة : عندى اليقين والدليل القاطـع
هل يكذب الإله؟ .. مستحيل.

المقلد : هـل صدقت مليكـة الأنـام
رؤيا رأتها ساعة المنـام ؟ ..

المقلدة : كـلا .. فلست غـرة تقـاد
بما تـراه الـروح فى سبـاتها ..

المقلد : إذن فقد جاءت مـع الريـاح
شائعة طارت بـلا جنـاح ...

المقلد : كفـى تهكمـا كفـى زرايـة
يا سيدى ! .. فلست بنتاً ساذجة

المقلد : متـى إذن تصدعت طـروادة
واستسلمت لجندنا النجادة ؟ ..

المقلدة : فى هـــذه الليلـــة فى المزيــــع

قبل البلاج الفجر والشروق ...

....

....

همـــلت

لوليم شكسبير

تعريب : خليل مطران

الحاكى : أنا الحكاواتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) أعـرض عليكم لعبة للمؤلف شكسبير اسمها « هاملت » ... كان يا مكان يا سعد يا إكرام فى بلاد الدانمارك ملك طيب له زوجة جميلة وابن بار اسمه « هاملت » كما كان له أخ شرير طمع فى عرشه وزوجته ... وترصد له هذا الأخ ذات يوم وهو نائم آمن فى حديقة القصر ودس له السم فى أذنه وقتله ... ثم تزوج بأرملته واعتلى عرشه ... وحزن بالطبع الأمير « هاملت » لموت أبيه ، كما فجع بزواج أمه السريع من عمه ... إلى أن علم هاملت ذات ليلة أن شبح أبيه قد ظهر هائماً حائماً حول القصر ، فلما التقى به عرف منه سر الجريمة .. ومنذ تلك الليلة وهو يعيش مضطربا مبلبلا بين الشك واليقين، طالباً التأكد ليشرع فى الانتقام ... كيف استطاع شكسبير أن يصوغ من هذه الحكاية البسيطة رائعته الخالدة ، هذا ما سنراه الآن من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية ... تقدم أيها المقلداتى أولا وقل

للحضور الكرام من ستقلد .. وابدأ بتعريفنا بنفسك ..

المقلد : أنا المقلداتى ..(**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد هاملت وطيف أبيه وعمه ملك الدانمارك وبولونيوس رئيس الديوان الملكى وهوراسيو صديق هاملت ولايرت ابن بولونيوس ، ثم الحراس برناردو وفرنسيسكو ومرسلس ، ثم رجال الحاشية كلهم .. وغيرهم وغيرهم ..

الحاكى : وأنت يا سيدتى ... عرفينا بنفسك ..

المقلدة : أنا المقلداتية .. (**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد والدة هاملت جرترود الملكة ، كما أقلد أوفيليا حبيبة هاملت وابنة بولونيوس ... وغيرهما من السيدات ..

الحاكى : عظيم جداً ... والآن فلنبدأ اللعبة ! ... وهى تبدأ فى موقف مرصوف أمام القصر .. وهذا القصر هو مسكن وقلعة فى ذات الوقت ... ونحن الآن فى الليل ... فى منتصف الليل ... ويقوم على الحراسة

فرنسيسكو...وفى تلك اللحظة يقبل عليه زميله برناردو...وهو بالطبع لا يستطيع من ظلام الليل التعرف عليه اشرع الآن فى العمل أيها المقلدانى .. وقلد لنا برناردو وقد أقبل فرنسيسكو ، وما دار بينهما من حديث ..

المقلد : (**مقلداً برناردو مقبلا على زميله**) من السزول ؟ تعرف ! ...

ــ لا ... وإنما عليك الرد ... قف ، وقل من أنت ؟...

ــ يحيا الملك ! ..

ــ أبرناردو ؟ ...

ــ هو بعينه ...

ــ جئت فى الميعاد بالدقة ...

ــ سمعت ساعة انتصاف الليل ... أدرك سريرك يا فرنسيسكو ...

ــ ألف حمد لك على هذه المنة ... البرد قارس وقلبى فى وحشة ...

أكانت حراستك هادئة ؟ ...

— لم يتحرك فأر فى جحر ...

— اذهب راشدا ، طاب لك الليل .. وإذا لقيت رفيقى فى العسس هوراسيو ومرسلس فأوصهما بالإسراع فى المجىء ..

— أظنهما بمسمع منى ... هيا وقوفا ! ... من الرجال ؟ ...

الحاكى : ها هما هوراسيو ومرسلس يقدمان ... ويقولان معلنين ..

المقلد : — (هوراسيو) أصدقاء لهذا البلد ...

— (مرسلس) ومن بطانة ملك الدانمارك ...

— (فرنسيسكو) طاب ليلكم ..

— (مرسلبس) انصرف بسلام أيها الجندى الأمين . من حل محلك ؟ ..

— (فرنسيسكو) برناردو حل محلى ... طاب ليلكم ..

— (مرسلس) إيه برناردو !؟ ..

— (برناردو) ماذا تريد ؟ .. أهوراسيو من أرى هناك ؟ ..

— (هوراسيو) بضعة صغيرة منه ... أو بعضه ..

— (برناردو) مرحباً هوراسيو ... مرحبا أيها الجواد مرسلس ! ..

— (مرسلس) وبعد ... أفعاد ذلك الطيف فى هذه الليلة ؟ ..

— (برناردو) لم أرشيئا ..

— (مرسلس) هوراسيو يقول إن ذلك محض توهم منا ، ولا يطيق تصديق تلك الرؤيا الرائعة التى رأيناها نحن مرتين ... لذلك ألححت عليه بمساهرتنا الليلة ، دقيقة بدقيقة ، حتى إذا بدا الطيف كعادته تحقق منه وكلمه ...

— (هوراسيو) رويدكما ، رويدكما .. لن يرى ذلك الخيال ...

— (برناردو) اجلس هنيهة ! ... ودعنا نحاصر أذنيك المستعصيتين على حديثنا ، مع أن ما وصفناه لك قد رأيناه ليلتين متتابعتين ...

— (هوراسيو) فلنجلس ونسمع برناردو يحدثنا عن ذلك ..

— (برناردو) فى الليلة البارحة بينما كان هـذا النجم بعينه ، النجم الذى مطلعه إلى غرب القطب ، قد سار سيرته حتى وصل إلى هذه الجهة التى يسطع فيها الآن من السماء ... كنت أنا ومـرسلس فى العسس ، والساعة عندئذ نحو من الواحدة ..

الحاكى : (**مشيراً إلى جهة ما صائحاً**) ها هو ذا الطيف ... الطيف ! ...

المقلد : (مرسلس) صه ! ... اقطع كلامك يا برناردو ... انظر ... انظر ... ها هو ذا عائد ...

— (برناردو) نعم ... إنما ظاهره ظاهر الملك الذى مات ...

— (مرسلس) أنت فصيح عليم .. خاطبه يا هوراسيو ...

— (برناردو) ألا يشبه الملك ؟ .. تبينه يا هوراسيو ! ...

— (هوراسيو) أشبه شيء به ! ... إنى لأقضى عجبا وأرتعد رهبا ..

— (برناردو) كأنه يرغب فى أن يوجه إليه الخطاب ..

— (مرسلس) كلمه يا هوراسيو ...

— (هوراسيو) « **مكلما الطيف** » من أنت أيها الطارق فى هذه الساعة من الليل طروق الغاصب ، متلبسا بشكل ذلك الملك النبيل الشجاع ، الذى تمثلت به جلالة الدانمرك زمنا ، ثم الآن دفنت بدفنه ، باسم السماء أدعوك إلى التكلم ... أجب ..

— (مرسلس) إنه لمغضب ..

— (برناردو) إنه يتولى مترفعا ..

— (هوراسيو) قف ! ... تكلم ... تكلم .. أعزم عليك ! ..

— (مرسلس) مضى الطيف ولن يرد ..

— (برناردو) ما بالك يا هوراسيو قد أخذتك الرعدة ، وامتقع وجهك ... أليس هذا شيئاً أكثر من الوهم ؟ ... ما تظن ؟ ..

— (هوراسيو) أعترف بين يدى ربى أننى لولا شهادة عينى لما آمنت

— (مرسلس) أليس شبيهاً بالملك ؟ ..

— (هوراسيو) بلى ... كما أنت شبيه بنفسك .. تلك شكة سلاحه ودرعه التى أدرعها حين قاتل النرويجى الطماع ، وكعبوسته الليلة كانت عبوسته حين جرت وحشة شديدة بينه وبين البولونى فاقتلعه من زحافته وألقى به على الجليد ... يا للغرابة ! ..

— (مرسلس) لقد مرّ بموقفنا مرتين قبل هذه بمثل

الهيئة الجريئة التى رأيتها فى مثل هذه الساعة الرهيبة كساعة الموت ...

— (هوراسيو) فى أى مدار يجب أن أدير فكرى لأعلم شيئاً محققاً فى هذا المعنى ؟ ... لست أدرى ، ولكننى أميل بجملة رأيى إلى أن فى الأمر ما ينذر بانفجار غريب يوشك أن يحدث فى مملكتنا ...

— (مرسلس) كلام معقول ... لنجلس ... وقل لى إن كنت تعرف لماذا هذه الحراسات المتوالية المرهقة التى يسامها فى كل ليلة سكان المملكة ؟ .. لماذا تصب تلك المدافع النحاسية كل يوم ، وتجلب الذخائر الحربية من الخارج ؟ ... لماذا يكلف النجارون فى صنع المراكب ذلك العنت الذى لم يدع فرقا بين الأحد وسائر الأسبوع ؟ ... ما ترى هنالك من الشؤون التى يستنزف دونها عرق الجباه بمثل هذه السرعة ، وتناط من أجلها بالعمل المكرر أنوار البكرات بظلمات العشى ؟ ... أيقدر أحد على

مكاشفتـــي بهذا السر ؟ ... أتقـــدر أنت يـــا هوراسيو ؟ ..

— (هوراسيو) أقـــدر على ذلك إن صدقت الاشاعات ... إن ملكنا السابق لذى بدا لنا مثله الآن كان كما علمت قد دعى إلى البراز ... دعاه فورتنبراس النورويجي متحدياإياه عن غيرة وكبرياء ... فلما التقيا لم يلبث ملكنا .. أن ظهر عليه فقتله ، فراح فورتنبراس بموجب ذلك العقد المحرر بين المتنازلين وفقاً للقوانين ، مهدور الدم خارجا لمليكنا عن جميع أملاكه ، كما أن مليكنا من جهته كان قد عاهد بموجب ذلك الاتفاق المسجل على أن يترك لفورتنبراس لو بقى هو الفائز ما يعادل أملاك خصمه ... والآن يا صديقى قد قام نجل فورتـنبراس ؛ وهـو فى مقتبـل الشباب ملىء حماسة وغروراً ، فجمع من تخوم نرويج جيشاً من الأفاقين الشراد ، يكفلهم طعاماً وملبساً مزمعاً أن يخوض بهم غمار كريهة فيها الظفر معقوداً بالشجاعة ... وما تلك

الكريهة فيما تعتقده حكومتنا سوى عزم ذلك الفتى على أن يستعيد بالسلاح والإكراه ما فقده أبوه من الأملاك ... وذلك فيما أظن مبعث تـلك الأهب وسبب ما نقوم به من العسس ... وما يذهب ويجيء من البرد العاجلة فى كل مذهب ومجيء من البلاد ...

— (برناردو) يدور فى خلدى أن العلة هـى ماذكرت ولا سيما أن تلك الأمور تتوافق مع الهيئة الغريبة التى يظهر بها ذلك الخيال جائسا خلال المدينة مدججا بسلاحه ، شبيها كل الشبه بالملك الفقيد ، الذى إنما كان السبب فى شبوب هذه الحروب .. أليس كذلك يا هورسيو ؟ ...

— (هوراسيو) نعم ... إن الذرة من الغبار نقع فى فى عين العقل فتزعجها ... حينما كانت روما فى بسطة دولتها وأوج صولتها ، وذلك قبيل أن يسقط يوليوس قيصر من سماء جبروته ، خلت القبور من سكانها ، وتمشى موتاها فى أكفانهم يصخبون ويئنون خـلال الطرقات فى روما ... وقد شوهدت نجوم بأذناب

نارية ، وأنداء تقطر دماً ... وانشقت الشمس وخسف سلطان الليل ... كأن اليوم يوم النشور ... تلك الآيات التى هى نذر الكوارث الكبرى وطلائع المقادير المجتاحة ومقدمات الخطوب التى سيلسقيها الدهر ، وقد أتت بأنبائها السماء والأرض فى إقليمنا ، وأرتها مواطنينا إيذانا بالويل والثبور ... ولكن ... صه ... صه ! ... انظر ... ها هو ذا عاد ثانية ... الطيف ... سأتعرض له ولو محقنى ... وقفة أيها الوهم ... إن تكن ذا لفظ تنطق به ، تكلم ! .. إن تكن على علم بشىء فى إتمامه راحة لك أورحمة لى ، تكلم .. !

الحاكى : لقد صاح الآن ديك ، مؤذنا بقرب الفجر ..

المقلد : (هوراسيو) (**مواصلا**) إن تكن أيها الطيف مستطلعاً طلع الغيب ، عارفا بما يكنه لوطنك من خير فستنزله ، وشر فستدفعه بما سبق إليه العلم ، ويك ... تكلم ! .. إن تكن فى حياتك قد خبأت كنزاً سحتاً ، ويقولون إن المال الحرام يقلق أرواح الموتى فتهب من

مرقدها هائمة ... تكلم .. قف وتكلم ! ... اعترضه يا مرسلس ...

— (مرسلس) أأضربه بفأسي ؟ ...

— (هوراسيو) افعل إذا أبى الوقوف ...

— (برناردو) ها هو ذا ..

— (هوراسيو) ها هو ذا يا مرسلس ! ..

— (مرسلس) نعم ... لكنه توارى ... اختفى .. أخطأنا إليه وهو على تلك الجلالة بمظاهرات العنف والإكراه ... إنه غير ملموس ... كالهواء ... ولو مددنا إليه بسوء أيدينا لعادت ضرباتنا التي لا تصيب إلا الفراغ من السخريات الباردة ...

— (برناردو) كان موشكا أن يتكلم حين صاح الديك ! ...

— (هوراسيو) نعم ... وعندئذ وجف كوجيف المجرم ، إذا أخذته صيحة شديدة ، ثم توارى ... طرق سمعي قديماً أن الديك وهو صداح الصباح

يوقظ بصوته الحاد الرنان ربة النهار ... وأن الأرواح الهائمة ، أفى الماء كانت أم فى النار ، متى سمعت صياحه نفرت سراعا عائدة إلى محابسها ... وليس ما رأيناه الساعة إلا مصداقاً لذلك الزعم ...

— (مرسلس) نعم ... أجل لقد تلاشى مسع صياح الديك ..

— (هوراسيو) نعم .. قد سمعت هذا .. وإنى أومن ببعضه ... ولكن انظر إلى الصباح وقد توشح بوشاحه الأحمر وتقدم بين قطار الندى ، على ذلك اليفاع البادى من الشرق ... لننصرف من حراستنا ... ولعلك توافقنى على المصير إلى هاملت الصغير فنخبره بما شاهدناه الليلة ... فلعمرى إن الشبح الذى أبى مخاطبتنا لن يأبى مخاطبته .. ألا تريان أيها الزميلان أنه يحسن بنا إبلاغه الأمر ؟ ... فإن ذلك يرضى مودتنا له ولا يخالف واجبنا ...

* * *

الحاكى : الآن نحن فى مزارة فى القصر ... وها هو ذا الملك يدخل ومعه الملكة وهملت وبولونيوس ولايسرت وفلتيمان وكرنيليوس ... وسادة وحشم ... والآن سيتكلم الملك ... هيا أيها المقلد ... تفضل ! ..

المقلد : (**الملك**) نعم ... إن ذكرى وفاة شقيقنا لا تزال متقدة الجذوة فى صدورنا ، فجدير بنا أن ندع قلوبنا مسترسله فى حزنها الأليم ، بل خليق بالأمة جمعاء أن تكون ذات جبين واحد باد عليه تقطيب الأسف ، غير أن العقل قد غالب الطبيعة فلطف من شجاها وأجاز لنا خلال اشتغالنا بالأسى عليه أن نفكر قليلا فى شأننا ، فمن ذلك : أننا اخترنا هذه السيدة التى هى أختنا بالأمس حليلة لنا اليوم ، وشريكة فى السلطان على هذه المملكة المتعددة الأقطار الباسلة الشعوب ، مخالسين الفرح من جانب الترح بعين تدمع سخينة وعين تدمع بجانبها قريرة ، مازجين المسرات بالأحزان والأعراس بالمآتم ، معايرين بمعيار متعادل كآبتنا

وابتهاجنا ... أما بعد فالأمر الذى جمعتكم من أجله هو ما علمتم من أمر فورتنبراس ... فإن هذا الفتى لم يقدر كفايتنا قدرها ، ولعله توهم أن وفاة أخينا المحبوب ... قد ضعضعت هذا الملك وقوضت فيه كل نظام ، فاتخذ من وهمه حليفا لا حليف سواه ، وبعث إلينا ببلاغ مهين يسترد به الأملاك التى فقدها أبوه ، والتى كسبها أخونا الشجاع محللة بأمتن المحللات المشروعة ... إلا أننا قد أطلنا الكلام فى شأنه ... فلنذكر ما دعانا لعقد هذا الاجتماع .. ذلك أننا كتبنا إلى ملك نرويج عم فورتنبراس ، ولما كنا على ثقة من أن ذلك الملك الذى بلغ من العمر عتيا وأصبح مقعداً لا يفارق المهد ، لم يعلم بما أزمعه ابن أخيه وبما هو شارع فيه بين أبناء نرويج من اتخاذ الأهبة وتجييش الجيوش ، بدا لنا أن نقفه على ما هو جار بين رعاياه ، وأن نوفدك يا كورنيليوس المقدام ونوفد معك فلتيمان هذا لتحملا سلامنا إلى الملك الشيخ ، غير مجيزين لكما الخروج عن الحدود

المبينة لكما فى هذه الكلمات ... فسلام عليكما وليدللنا إسراعكما على اهتمامكما بامتثال أمرنا ...

— (كورنيليوس وفلتيمان) فى هذا الشأن وفى كل شأن سواه إنا المخلصان ...

— (الملك) لا يخامرنا ريب فيكما ، فتوجها بسلام ، وبرضى منا .. والآن يا لايرت ماجدَّ لديك ؟ ... أنت لا تلتمس من لدن ملك الدنمارك إلا ما يكون معقولا ، ولا تضيع فيه الأقوال سدى ... فأيما سؤل كان لك فإنه لعرض منا ، عليك لا طلب مرفوع منك إلينا .. ليس الرأس أشد ارتباطا بالقلب من أبيك بعرش الدانمارك ، ولا الذراع بأخدم للشفة الآمرة من أبيك لصاحب هذا العرش ، فما بغيتك يا لايرت ؟ ..

— (لايرت) يا مولاى المهيب ، ألتمس إذنا بالرجوع إلى فرنسا ... فقد فارقتها مسرعا لأداء واجب التهنئة بارتقائك السرير ... والآن قد شاقنى

العود إليها ، فأنا جاث بين يدى كرمك للترخص فى السفر ...

ــ أفاستأذنت أباك؟ .. ما يقول بولونيوس ؟..

ــ (بولونيوس) قد ألح بالاستئذان يا مولاى ... وألحف وما زال بى حتى أذنته بكل إبطاء ، فأضرع أن تمنحه الإجازة بالسفر ...

ــ (الملك) تخير الساعة التى فيها رضاك ، فإن وقتك منذ الآن لك ... وأمانينا الطيبة تصحبك ...

والآن أى هاملت ، أى ابن أخى بل بنى ...

الحاكى : ها هو ذا هاملت القائم منتحيا منفرداً يكلم نفسه ..

المقلد : (هاملت) شيئاً أكثر من ابن الأخ ، وشيئاً أقل من الابن !...

ــ (الملك) من أين يأتى لك يا هاملت أن سماءك لا تزال عابسة الغيوم ...

ــ (هاملت) عفوا يا مولاى ! ... إن أنا إلا فى الشمس الساطعة ! ...

الحاكى : وها هى ذى الملكة أم هاملت تريد أن تلاطفه ... هيا أيتها المقلدة ...

المقلدة : حبيبى هاملت ! ... دع هذه الألوان العاتمة القاتمة ، واتجه بنظر الوداد إلى ملك الدانمارك ... ولا تلبث آخر الدهر منطبق الحاجب على الحاجب ، باحثا فى الثرى عن أبيك النبيل ... أنت تدرى أن الموت نهاية كل حى ... وأن الدنيا إنما هى مجاز إلى الخلود ...

المقلد : (هاملت) أجل يا سيدتى ... الموت نهاية كل حى ...

المقلدة : إن كان الأمر كذلك فلم تخاله غريبا ؟ ...

المقلد : إخاله ؟! ... كلا يا سيدتى ، ليس الأمر غريباً بالمخيلة ... ولكن بالواقع ... وما من معرفة بينى وبين المخيلة ... يا أيتها الأم الشفيقة ليس دثارى الأسود كالمداد ، ولا سائر ما يعتد من آلات الحداد ، ولا التصعيد أو التصويب للزفرات ، ولا شحوب الوجه واكفهراره فى المسرات ، ولا انهمال المدامع بمثل فيض المنابع ، ولاعلائم الحزن كافة أوضروبه قاطبة أوشكوله جميعاً

بوافية لى فى الشهادة بصدق حزنى ، أو بكافية فى الدلالة على فرط شجنى ... ذلك مما يصح أن تقال فيه لفظة « يخال » ... ولكن فى هذا الداخل من اللاعج والضرام ما لا تستطيع بيانه المظاهر ...

الحاكى : ها هو ذلك أيضاً يريد أن يهون على هاملت ...

المقلد : (الملك) إن فى اشتداد جزعك يا هاملت لدليلا على جودة عنصرك ... ولكن أباك فقد أباه من قبل ، كما أن جدك فقد كذلك جده ... وهذه سنة الله ... فالتشدد فى الحزن والإصرار على استمراره إلى ما وراء الزمن الجائر أشبه بالثورة فى وجه القدر ، والمعصية لأمر الله ، وإنك لأقرب الناس إلينا ... وأحبهم لدينا ... فليعلم ذلك الناس ، وليكن لك فيه سلوان ، ثم إنا لنرغب إليك فى العدول عن العودة إلى مـــدارس ويتنبرج بل نضرع إليك أن تبقى بيننا قرة لأعيننا ...

المقلدة : (الملكة)لعلك لا تخيب رجاء أمك ، وابتهالها إليك : أن تقيم معنا وتصدف عن الدراسة فى ويتنبرج ..

المقلد : (هاملت) سأطيعك يا سيدتى بما فى وسعى ...

— (الملك) حسن ... هذا جواب حنو وكياسة ... ليكن مقامك فى الدانمارك كمقامنا بلامراء ... هلمى يا سيدتى ... إن هذه الرقة من هاملت قد وجت قلبى باسمة ، ومن أجلها سأشرب كؤوس اليوم ، على قصف المدافع ، حتى تتجاوب السماوات برجع الأصوات الصاعدة إليها من الأرضين ... هلمى ..

الحاكى : وهنا يخرج الجميع ما عدا هاملت ... إنه جعل يناجى نفسه ...

المقلد : (هاملت) أواه ... ليت هذا الجثمان وما أصلبه على الرزايا والكوارث ، ليته يذوب ويسيل وينحل إلى ندى ... بل ليت بارىء الإنسان لم يحرم عليه قتل نفسه ... أى إلهى ... أى إلهى ... ما أثقل جميع مصطلحات هذا العالم وما أسفلها وما أقدمها وما أقلها جدوى ! ... قبحا لهذه الدنيا وتباً لها ! ... إنها لحديقة غير مهذبة ، ينمو فيها النبات فطريا ... وتستولى عليه

الأعشاب السمجـة ! ... إلى هـذا الحد وصلت الأمور ؟ ... مات منذ شهرين أو أقل ملك وأى ملك ! ... جواد لا يدانيه هذا إلا إذا دانى الهر الأسد ... وما كان أرقه لوالدتى ، وأعطفه عليها ، حتى النسيم العليل لو مس وجههـا بقوة لراعه وآلمه، يـا للسماء ! ... يا للأرض ! ... بئست الذكرى ... إذا تذكرت كان يعلق بها علاقة من لا يزيده تمثيل الطعام سوى تماد فى الغرام ... وهذا ... هذا ما انتهى إليه وفاؤها فى شهر ... لندع التفكير فى ذلك ... يا سرعة التحول لو سميت لسميت امرأة ! ... فى شهر قصير قبل أن يعتق الحذاء الذى مشت به وراء الجنازة باكية ، وأى بكاء غزير ! ... يا عجباً ! ... أتلك هى هذه ؟ ... تالله لو أصيب وحش ضار لم يوهب أدنى تعقل بما أصابها لكان إعواله أطول مدى من إعـوالها ! ... تزوجت من عمى وأين هو من أبى ؟ ... أين هرقل القدير من ضعيف مثله ؟ ... تزوجت ولما ينـقض

الشهر ، ولما تنصل حمرة جفونها من ملح دموعها ... ويلها من عجلة عجلتها إلى نهد الحرام ! ... ساء ما عملت وساءت عقباه ... ولكن تفطر يا قلب ولا تنطلق يا لسان ...

الحاكى : وهو فى إطراقة الحزين يدخل عليه هوراسيو ومرسلس وبرناردو ... ويبادئه هوراسيو بالتحية ...

المقلد : (هوراسيو) التجلة لسموكم ! ..

— (هاملت) يسرنى أن أراكم فى عافية ... أما أنت يا هوراسيو ..

— (هوراسيو)أنا هو يا مولاى ... وإنى لخادمك الأمين أبد الدهر ...

— (هاملت) قل يا ... أعفنى من قول يا سيدى ، ولأدعك بيا صديقى ... ماذا جاء بك وبمرسلس ؟ ...

— (مرسلس) يا مولاى الجواد ..

— (هاملت) أنا مبتهج برؤيتك ... مسيت بخير

يا سيدى ، ولكن ماذا حملكما على ترك ويتنبرج ؟ ...

— (هوراسيو) فطرة البدارة يا مولاى الكريم ..

— (هاملت) لا يا هوراسيو ... لا أجيز لألد أعدائك أن يتكلم عنك هكذا ... فلا تحمل أدنى وقر هذه الشهادة منك فيك ... أنا أعرف أنك لست شروداً ولا أفاقياً .. فما الذى أتى بك إلى إلسنور ؟ ... سنعلمك الشرب بالأكواب المترعة قبل أن تفارقنا ...

— (هوراسيو) كان قدومى لأحضر مشهد أبيك ...

— (هاملت) أرجو يا رفيق ألا تهزأ منى ... أحسبك قدمت لتحضر زفاف أمى ! ..

— (هوراسيو) حقا يا مولاى ... إن العرس والمأتم قد تعاقبا عن كثب ..

— (هاملت) حكمة واقتصاد يا هوراسيو ! ... محض اقتصاد ! ... اللحوم التى قدمت حينئذ فى المناحة قدمت باردة فى الفرح ! ... ليتنى لقيت فى

السماء أعدى أعدائي ، ولم أر ذلك اليوم ... هوراسيو ... أبي كأنني أرى أبي ...

— (هوراسيو) أين يا مولاي ؟ ...

— (هاملت) بعيني قلبي يا هوراسيو ...

— (هوراسيو) رأيته قديماً وكان هو الكمال بعينه ..

— (هاملت) كان رجلا لن أرى له مثيلا ..

— (هوراسيو) مولاي ... كأنني رأيته الليلة البارحة ! ...

— (هاملت) رأيت من ؟ ..

— (هوراسيو) أباك يا مولاي ...

— (هاملت) الملك أبي ؟! ..

— (هوراسيو) هدئ من روعك ريثما أقص عليك الأعجوبة ، التي شهدها هذان السيدان ، وشهدتها معهما الليلة ...

— (هاملت) ناشدتك الله تكلم ! ..

— (هوراسيو) توالت ليلتان على هذين السيدين : مرسلس وبرناردو كانا فيهما يسهران للعسس ... ورأيا فى الساعة الهادئة الهامدة ، ساعة انتصاف الليل ما ستسمعه : رأيا مثالا شبيها بأبيك فى شكة تامة من السلاح ، ما شياً مشية وقار ماراً بهما على مهل ... ثلاث مرار خطر إزاءهما قيد هذه العصا ، وجفونهما معقودة به من الرعب ... فكأن جسميهما قد تحولا إلى شحم مذاب من الخوف ... وقد لبثا صامتين لا ينطقان ، ثم كاشفانى بهذا السر الرهيب ... فتوليت الحراسة معهما فى الليلة الثالثة ... وهناك رأيت مصداق ما وصفاه لى .. ظهر الطيف فى الميقات الذى عيناه بالهيئة التى مثلاها ، فعرفت أباك ... وما يدى أشبه بيدى من ذلك الطيف به ...

— (هاملت) أين ؟ ... أين جرى ذلك ؟ ..

— (مرسلس) فى هذا الموقف الذى نتولى منه الحراسة ..

— (هاملت) ألم تخاطباه ؟ ..

— (هوراسيو) خاطبته يا مولاى فلم يجب ... غير أنه رفع رأسه مرة وبدأ يتحرك كأنه سيتكلم ... فما هى إلا اللحظة التى بدا منه هذا العزم حتى صاح ديك الصباح صيحة عالية فاهتز لها وتوارى على إثرها ..

— (هاملت) عجب عجاب ! ..

— (هوراسيو) وحق كحقيقة وجودى ... فلهذا اعتقدنا أن الواجب يقضى علينا باطلاعك على ما كان ..

— (هاملت) إنى لمضطرب أيها السيدان ... أفأنتما فى العسس الليلة ؟ ..

— (الجميع) أجل يا مولانا ..

— (هاملت) كان فى شكة تامة من السلاح قلتما ؟ ..

— (الجميع) نعم ..

— (هاملت) إذن لم تريا وجهه ؟ ..

— (هوراسيو) بل رأيناه ... لأن الخوذة كانت مرفوعة عن وجهه يا مولاى ...

— (هاملت) أكان باديا عليه الغضب ؟ ..

— (هوراسيو) كان ملمحه أدنى إلى ملمح الكآبة منه إلى الغضب ..

— (هاملت) أبه اصفرار أم احمرار ؟ ..

— (هوراسيو) كان لونه أصفر شاحباً ..

— (هاملت) وكان محدقا بكما ؟ ..

— (هوراسيو) تحديقا .. بلا تحول ..

— (هاملت) ليتنى كنت معكم ..

— (هوراسيو) لو كنت لدهشت شديداً ..

— (هاملت) لا شك ... لا شك ... أأقام مديداً ؟ ..

— (هوراسيو) عدة المائة ببعض التأنى ...

— (مرسلس وبرناردو) أو تزيد قليلا ...

— (هاملت) كانت لحيته موخوطة بالشيب ؟ ..

— (هوراسيو) كما رأيتها وهو حى : لحمة من عنبر وسدى من فضة ! ..

— (هاملت) سأسهر الليلة معكم لعله يجيء ...

— (هوراسيو) سيعود وأنا الضمين ...

— (هاملت) إذا لاح لى وعليه ملامح والدى العظيم ، فسأخاطبه ولو نهتنى جهنم عن أن أتكلم ... أرجو منكم جميعاً إذا كنتم لم تفشوا سر هذه الرؤيا أن تستمروا فى الكتمان .. ومهما يحدث فى هذه الليلة فليجل فى أذهانكم ، ولكن إياكم أن تجروه على ألسنتكم ... سأشكر لكم خلوص ودكم ... وسلام عليكم ... الملتقى على الموقف المرصوف بين الحادية عشرة ونصف الليل ..

— (الجميع) التجلة لسموكم ! ..

— (هاملت) إن أريد إلا محبتكم كما منحتكم

محبتي أستودعكم الله ! ..

الحاكي : وكلهم عندئذ يخرجون ... إلا هاملت فإنه قد بقي قليلا تتلاعب بأفكاره شتى الهواجس وبعواطفه شتى الانفعالات ...

المقلد : (هاملت) روح أبي مسلحة بالسلاح التام ! .. ليست الأمور جارية في أعنتها ... وإني لموجس كيداً خفياً ... ما أبطأ الليل على الناظر ... اهدأ يا روعي ! .. حتى يجيء الليل ... واسكني يا نفسي ... إن مساوىء الأعمال لو دفنت تحت طباق الأرض لخرجت من مخابئها وبرزت للعيون ...

....

....

دون جوان

لموليـــير

ترجمة : إدوار ميخائيل

مراجعة وتقديم : نبيل الألفى

الحاكى : أنا الحكاواتى .. (**يذكر اسمه الحقيقى**) أعرض عليكم لعبة للمؤلف موليير ... اسمها « دون جوان » .. كان ياما كان فى سالف العصر والأوان زير نساء اسمه « دون جوان » زنديق هرطيق لا يؤمن بدين ولا ديان ... يخدع الزوجة ... ويغرر بالفتاة ... إرضاء لشهواته ونزواته ... وفى حكايتنا هذه كان قد أغرى فتاة طيبة تقيم فى دير ، حتى أخرجها من ديرها وتزوجها سراً ... ثم سئمها كعادته فى السأم والتنقل ... فهجرها ... كان اسمها « دونا إلفيرا » ... وكان لها تابع اسمه « جسمان » ... وكان لدون جوان تابع هو الآخر اسمه « سجاناريل » ... كيف دارت هذه القصة ... وكيف صنع منها « موليير » هذه اللعبة ؟ .. هذا ما سنعرفه الآن خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية ... تفضل يا حضرة المقلداتى وقل للحضور الكرام من ستقلد ؟ ... وابدأ بتقديم نفسكْ ..

المقلد : أنا المقلداتى (**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد دون جوان وسجاناريل وجسمان ودون كارلوس ودون ألونس ودون لويس وبيرو وتمثال الحاكم ومسيو ديمانش التاجر ولارامسى السياف ثم الشحاذ والشبح حتى الخدم والحشم و ...

الحاكى : وإيه كان ؟ ... أنت زحمه قوى ... كفايه ! ... وأنت يا حضرة الست ؟ ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... (**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد دونا إلفيرا وشارلوت وماتيرين والفلاحتين ..

الحاكى : جميل ! ... فلنبدأ اللعبة إذن ... مكان اللعبة فى صقلية ... وقد تقابل فيها سجاناريل تابع دون جوان مع جسمان تابع دونا إلفيرا ... اشرع الآن فى اللعب يا حضرة المقلداتى ... وقلد لنا سجاناريل وفى يده علبة نشوق يتنشق منها ويحادث جسمان ...

المقلد : (**يقلد سجاناريل وهو يتنشق محادثاً جسمان**) مهما استطاع أرسطو وجميع الفلاسفة أن يقولوا ، فلا شىء

أفضل من النشوق ... إنها متعة أفاضل الناس ... وما استحق أن يعيش من عاش بغير نشوق ... فهو لا يقتصر على إنعاش النفس وتنظيف المخ ، بل إنه يربى الناس على الفضيلة ويعلمهم الكرم ... ألا ترى بوضوح كيف يتصرف الإنسان مع جميع الناس بمنتهى المروءة بمجرد أن يتناول النشوق ، وكيف يكون منتشياً عندما يوزعه ذات اليمين وذات اليسار وفى كل مكان يوجد فيه ؟ ... وهو لا ينتظر أن يطلب أحد منه ذلك ... بل إنه يعرف مقدماً رغبة الناس فيه ... حقاً إن النشوق يوحى لكل من تعاطاه بالكرم والفضيلة ... ولكن لنكف عن هذا الموضوع الآن ... ولنستأنف حديثنا .. إذن يا عزيزى جسمان كان رحيلنا مفاجأة لسيدتك دونا إلفبرا ... فأتت وراءنا للبحث عنا ، وقلبها الذى عرف سيدى كيف يسيطر عليه تماماً ، لم يستطع كما تقول إلا أن يجبرها على أن تأتى إلى هنا جريا وراءه ؟ ... هل تريد فيما بيننا أن

أصارحك برأيى ؟ ... أنخشى ألا يقابل حبها بالمثل ... وألا تثمر رحلتها إلى هذه المدينة إلا نتيجة بسيطة ، كان فى استطاعتكما أن تنالا مثلها لو أنكما لم تتحركا من مكانكما ..

— وما السبب ؟ .. قل لى يا سجاناريل ؟ .. ما الذى أثار فى نفسك هذا الخوف المشئوم ؟ ... هل أسر إليك سيدك بشىء فى هذا الموضوع ؟ ... وهل قال لك إنه شعر نحوها بفتور اضطره إلى الرحيل ؟ ..

— لا ، ولكنى أعرف تقريباً مجرى الأمور من مقدماتها .. فعلى الرغم من أنه لم يقل لى كلمة واحدة عن هذا الموضوع ، فإنى أراهن بأن الحقيقة هى كما ذكرتها لك تقريباً ... ربما كنت مخطئا ... ولكن تجربتى معه فى مثل هذه الأمور تنير لى الطريق بعض الشىء ...

— ماذا ؟ ... أيكون إذن هذا الرحيل المفاجئ خيانة من دون جوان ؟ ... وهل يستطيع أن يجرح

سيدتى إلفيرا فى حبها الشريف ؟ ..

ــ لا ... ذلك أنه مازال شابا وليس عنده الشجاعة ..

ــ رجل مثله ينتمى إلى طبقة النبلاء يعمل مثل هذا العمل الدنىء ؟! ..

ــ آه ، نعم ... طبقة النبلاء ، هذا سبب وجيه يمنعه من القيام بهذه الأعمال !..

ــ ولكنه مرتبط برباط الزواج المقدس ! ..

ــ آه يا جسمان يا مسكين ! ... يا صديقى العزيز ، إنك لم تعرف من هو بعد ، صدقنى ، أى نوع من الرجال هو دون جوان ..

ــ حقا أننى لا أعرف أى نوع من الرجال هو ، إن كان حقا قد غدر بنا بهذه الطريقة ... ولا أستطيع أن أفهم كيف أنه بعد كل هذا التهافت وكل هذه العواطف الحارة التى كان يبديها لها والأمانى ، والتأوهات والدموع ، وكل تلك الخطابات

الغرامية ، ومظاهرات الحب الملتهبة، وترديد أغلظ الأيمان ... وبالا ختصار بعد كل هذا التحمس وكل ما أبداه نحوها من الدفاع ، حتى أنه تغلب على العقبة المقدسة وأخرج دونا إلفيرا من الدير ليستحوذ عليها ... أقول إنى لا أفهم كيف يطاوعه قلبه بعد كل هذا ويخلف فى وعده ؟ ...

ـــ أما من جهتى فأنى لا أجد صعوبة فى فهم كل هذا ... ولو كنت تعرف ذلك الماكر الملعسون ، لوجدت الأمر سهلا بالنسبة إليه ... أنا لا أقول إن عواطفه قد تبدلت من جهة دونا إلفيرا ، فما زلت غير متأكد من ذلك ، لأنك تعرف أنى رحلت من قبله حسب أوامره ، وأنه لم يتكلم معى منذ وصوله ... ولكنى أقول لك على سبيل الاحتياط ، وذلك فيما بيننا ، إن سيدى دون جوان أكبر سافل لئيم حملته الأرض ، مجنون كلب شيطان ملحد ، لا يؤمن بالجنة ولا بالنار ، يعيش فى هذه الحياة كوحش مفترس

أو كخنزير قذر ، كافر هرطيق يصم أذنيه عن استماع جميع المواعظ التى توجه إليه ، ويهزأ بكل ما تؤمن به ... تقول لى إنه متزوج من سيدتك ؟ ... صدقنى إنه يستطيع أن يعمل أكثر من ذلك ليرضى شهواته ، وأنه كان من الممكن ألا يتزوجها هى فحسب بل ومعها أنت وكلبها وقطتها ... فعقد الزواج لا يكلفه شيئاً ... وهو لا يستخدم إلا هذه الطريقة لصيد النساء فإنه يتزوجهن كيفما اتفق ... سيدة ، آنسة ، متمدنة ، فلاحة ، امرأة مثيرة أو فاترة كلهن عنده سواء . ولو قلت لك أسماء من تزوجهن فى مختلف النواحى لما انتهت القائمة حتى المساء ... يبدو لى أنك مندهش ، وقد امتقع لونك من هذا الحديث ... علماً بأن هذا كله ما هو إلا صورة سريعة لشخصيته ... ولكى تكمل الصورة الحقيقية فإن ذلك يستلزم منى وقتا طويلا .. إذ يحتاج الأمر إلى لمسات أخرى ... يكفى أن غضب السماء لا بد وأن يسحقه ذات يوم ...

كنت أتمنى أن أخدم الشيطان ولا أخدمه ... لقد جعلنى أشاهد كثيراً من المخازى ، حتى إنى أتمنى أن يكون قد مضى إلى حيث ألقت ... ما أبشع أن يكون الرجل النبيل شريراً ... لأنه يجب على أن أبدى له الإخلاص رغم احتقارى إياه ... ويدفعنى الخوف منه إلى التحمس ، وإلى تزييف عواطفى ... فكثيراً ما أضطر إلى أن أتظاهر باستحسان أشياء أكرهها من كل قلبى ... أو ها هو ذا قادم هناك ، يتجول فى القصر .. لنفترق .. ولكن دعنى أقل لك هذا : لقد اعترفت لك بهذا الاعتراف بكل صراحة ، وقد زلف ذلك من لسانى بسرعة ، ولكن إن حدث وبلغت أية كلمة منه مسامع سيدى ، فسوف أقول له جهارا أنك أنت الذى لفقتها ..

كى : لقد ظهر دون جوان واتجه إلى تابعه سجاناريل .... قلد لنا الآن أيها المقلداتى دون جوان وهو يحادث تابعه ... إنه بالطبع قد لمحه مع جسمان ... ولا بد أنه

سيسأله فى ذلك ...

المقلد : من ذلك الرجل الذى كان يكلمك ؟ ... يخيل إلى أنه يشبه إلى حد كبير صديقنا جسمان خادم إلفيرا ؟ ..

ـــ هو شيء مثل ذلك تقريبا ..

ـــ ماذا ؟ ... أهو جسمان ؟ ..

ـــ هو بنفسه ..

ـــ ومنذ متى جاء إلى هذه المدينة ؟ ..

ـــ منذ ليلة أمس ..

ـــ وأى أمر جاء به إلى هنا ؟ ..

ـــ أظن أن عندك فكرة كافية عما يمكن أن يشغل باله ..

ـــ رحيلنا من غير شك ..

ـــ لقد سبب للمسكين غما كثيراً ، وكان يسألنى عن السبب فى ذلك ..

ـــ وماذا كانت إجابتك ؟ ..

ـــ قلت له إنك لم تقل لى شيئاً عن هذا الأمر ..

ـــ وأنت ما رأيك ؟ ... وما نظرتك إلى هذا الأمر ؟ ..

ـــ أظن ، دون أن أسيء إليك ، أنك تفكر فى غرام جديد ..

ـــ هل تعتقد ذلك ؟ ..

ـــ نعم ..

ـــ حسن ... إنك لم تخطئ.. ويجب أن أعترف لك بأن هناك امرأة أخرى طردت إلفيرا من فكرى ...

ـــ هيه ! ... يا إلهى ! ... إنى أحفظ سيدى دون جوان عن ظهر قلب ... وأعلم أنك تملك قلباً يجعلك أكبر « زير نساء » فى العالم ... قلباً يسره أن يتنقل من قيد إلى آخر ولا يطيب له أبداً أن يظل فى مكان واحد ..

ـــ ألا تجد أننى على حق فى أن أتنقل به كما أشتهى ؟ ..

ـــ آه .. سيدى ..

ــ ماذا ؟ . . . تكلم ! . . .

ــ بالتأكيد أنت على حق ، إذا شئت ، ولا يمكن معارضتك فى ذلك . . . ولكن إذا لم تشأ فربما اختلف الأمر . .

ــ حسناً . . . إنى أعطيك الحرية فى أن تتكلم وتعبر عما يجول بخاطرك . . .

ــ فى هذه الحالة يا سيدى ؛ أقول لك بصراحة إننى لا أومن أبداً بطريقتك . . . وأجد أنه من الخطأ الكبير أن يحب الإنسان شرقا وغربا ويميناً وشمالا كما تفعل أنت . .

ــ ماذا ؟ . . . هل تريد أن يجبر الرجل على أن يظل مرتبطا بأول امرأة استولت على قلبه ، وأن يهجر العالم من أجلها ؟ . . . وألا ينظر إلى امرأة أخرى ؟ . . ما أجمل أن يدعى الإنسان أن الأخلاص فضيلة وأن يدفن نفسه إلى الأبد فى حب واحد ، وأن يظل منذ فجر شبابه غافلا عن كل جمال آخر قد يلفت نظره . . . لا . .

لا ... إن الثبات لا يلائم إلا البلهاء من الناس ... جميع الحسناوات لهن الحق فى أن يسلبن لبنا ... ولا يصح أن يكون لأول حسناء التقينا بها الحق فى أن تسلب الأخريات نصيبهن العادل فى قلوبنا .. أما من جهتى فإن الجمال يبهج نفسى أينما وجدته .. ... وما أسهل ما أنقاد إلى قوة جاذبيته العذبة ... مهما ارتبطت بحسناء ، فإن الحب الذى أكنه لها لا يحملنى على ظلم الأخريات ... إن لى عينين أحتفظ بهما لأرى مزاياهن جميعًا ، وأقدم فروض الطاعة والولاء لكل واحدة تقودنى إليها طبيعتى ، مهما يكن من أمر فإنى لا أستطيع أن أمنع قلبى عن كل من أراها جديرة بالحب ... ولو كان عندى مائة ألف قلب فإنى أهبها جميعاً للمرأة الجميلة التى تطلب حبى ... فالعاطفة الوليدة لها سحر يقصر دونه الوصف ، ولذة الحب فى التنقل ... وإن الإنسان ليشعر بمتعة كبرى حين يخضع قلب فاتنة صغيرة بمئات العبارات الدالة على الحب والوفاء ،

وحين يلاحظ القدرات المختلفة التى تطرأ عليها يوما بعد يوم ، وحين يحارب بالتحمس والدموع والتأوهات الحياء البرىء لنفسية يعز عليها أن تلقى سلاحها ، وحين يتغلب بالتدريج على كل التمنعات الصغيرة التى تقاومنا بها ، ويقضى على كل حيرة الضمير التى تفاخر بها ، ويقودها بلطف ورقة إلى حيث يريدها أن تذهب ... ولكن ، عندما يصبح الرجل سيد الموقف ؛ فلا شىء هناك ينقصه أو يتمناه ... إن كل جمال الرغبة قد انتهى ... إننا ننام فى هدوء هذا الحب ، حتى يظهر حب جديد يوقظ رغباتنا وتفرح قلوبنا بغزو جديد ... النهاية ، ليس هناك ألذ من الانتصار على مقاومة امرأة حسناء ... وأنا عندى فى هذا الموضوع ، طموح الغزاة الذين يطيرون دائماً من نصر إلى نصر ، ولا يستطيعون أن يحددوا مدى رغباتهم ... لا شىء يستطيع أن يقاوم حدة رغباتى ... إننى أشعر فى قرارة نفسى أن لى قلبا يستطيع أن يحب

العالم ... ولكم أتمنى — كالإسكندر — أن تكون هناك عوالم أخرى لأستطيع أن أتابع فيها غـزوات حبى ..

— ما شاء الله ! ... يالفصاحة اللسان ! ... يبدو أنك حفظت هذا عن ظهر قلب، وتتكلم كأنك تقرأ من كتاب ..

— وماذا لديك تقوله فى هذا ؟ ..

— وذمتى ! ... أريد أن أقول ... لا أعرف ماذا أقول ... ذلك أنك قلبت الأمور بطريقة يبدو معها أن الحق معك ... ومع ذلك فمن المؤكد أن الحق ليس معك ... كانت لدى أجمل الأفكار فى العالم ، ولكن كلامك هذا قد جعلها تختلط جميعها فى ذهنى ... دعنا من هذا الآن ... سوف أتناقش معك مرة أخرى ، وسأحضر جميع براهينى مكتوبة على ورق ...

— حسنا تفعل ...

— ولكنى يا سيدى ... لو كان لى أن استعمل

الحرية التى سمحت لى بها ، لقلت لك إنى أشعر بالخجل بعض الشيء من الحياة التى تحياها ...

ـــ كيف ؟! ... ما هى الحياة التى أحياها ؟ ..

ـــ حياة جميلة جداً ، أن تشاهد مثلاً وأنت تتزوج فى كل شهر كما تفعل ..

ـــ وهل يوجد شيء أمتع من هذا ؟ ..

ـــ حقاً .. وإنى أوافق أنه ربما كان هذا ممتعا جداً ومسلياً جداً ... وكان بودى أن أفعل نفس الأمر لو لم يكن فى ذلك أى ضرر ... ولكن يا سيدى أن تستهتر هكذا بسر من الأسرار المقدسة و ...

ـــ هيا ... هيا ... هذا أمر بينى وبين السماء ، وسوف نسويه معاً من غير أن تشغل بالك ...

ـــ والله يا سيدى ، لقد سمعتهم دائماً يقولون : إن من أقبح الأشياء أن يجدف الإنسان بالسماء ، وأن نهاية الكافرين بها لن تكون طيبة ...

ـــ مهلا ... يا رئيس الأغبياء ! ... قلت لك إنى لا

أحب المواعظ ! ..

— إذن فلن أكلمك فى هذا الشأن ، وليرعانى الله ... إنك تعرف ماذا تفعل ، وإن كنت لا تؤمن بشىء ، فلك وجهة نظرك ... ولكن هناك بعض صغار الناس الأغبياء الذين يكفرون بالسماء دون أن يعرفوا لذلك سببا ، وهم يظنون أن تجد يفّهم هذا يرفع من شهرتهم بين الناس ... ولو كان لى سيد من هذا النوع لقلت له فى وجهه : « هل تجرؤ أن تهاجم السماء ولا ترتعد فرائصك عندما تسخر هكذا بأقدس المقدسات ؟ ... هل يليق يادودة الأرض الحقيرة ويا أيها القزم الصغير (إننى أخاطب السيد الذى تكلمت عنه) هل يليق بك أن تحشر نفسك وتسخر من أشياء يقدسها جميع الناس ؟ ... هل تظن أنك ما دمت من النبلاء وتلبس الباروكة الشقراء ذات الشعر المجعد وتضع الرياش فى قبعتك وترتدى رداء مذهبا وتضع أشرطة متوهجة كالنار (إننى لا أكلمك طبعاً يسا

سيدى بل أكلم السيد الآخر) هل تظن هذا كله يجعلك أكثر الناس براعة ، وأن كل شيء مباح لك ، وأن كائنا من كان لن يجرؤ على مصارحتك بحقيقتك ؟ ... تعلم منى أنا خادمك ، أن السماء تعاقب — إن آجلا أو عاجلا — كل الكفار ، وأن الذى يحيا حياة شريرة يموت ميتة شريرة ، وأن ..

— صه ! ..

— لماذا ؟ .. ما الأمر ؟ ..

— الأمر هو أن امرأة جميلة قد سيطرت على قلبى ، وأن سحر مفاتنها هو الذى أغرانى بالرحيل وراءها إلى هذه المدينة ..

— ولكن ألا تخشى شيئاً هنا يا سيدى من موت ذلك الحاكم الذى قتلته منذ ستة أشهر ؟..

— وما الداعى للخشية ؟ ... ألم أقتله كما يجب ؟ ..

— حسب الأصول وأكثر من الأصول ، يكون غير محق لو أنه اشتكى ..

ـــ لقد برئت فى هذه القضية ..

ـــ نعم ... ولكن ربما لم تطفيء هذه البراءة الضغينة الموجودة فى نفوس الأهل والأصدقاء و ...

ـــ آه ... لا تدعنا نفكر فى المكاره التى يحتمل أن تحل بنا ... ولنفكر فقط فيما يحتمل أن يسبب لنا المتعة والسرور ... إن المرأة التى أكلمك عنها شابة صغيرة مخطوبة ، ومن أجمل من رأيت فى الوجود جاء بها إلى هنا نفس الرجل الذى سوف يتزوج منها ... وقد أتاحت لى المصادفة أن أرى هذين العاشقين منذ ثلاثة أو أربعة أيام ... و لم أر أبدا شخصين يخلصان لبعضهما مثل هذا الإخلاص ، أو يحبان بعضهما مثل هذا الحب ... إن ما كان يبدو على عواطفهما المتبادلة من حنان أثار فى نفسى المشاعر وهز قلبى هزاً عنيفا ... فابتدأ حبى بالغيرة ... نعم ... لم أستطع من أول لحظة أن أتحمل رؤيتهما معاً ينعمان بهذه السعادة ، فأشعل الغيظ الرغبة فى نفسى ، وتصورت مقدار اللـذة

الكبرى التى سوف أشعر بها عندما أكادر صفوهما المتبادل ، وأحطم هذه العلاقة التى أهانت كبرياء قلبى .. ولكن محاولاتى كلها حتى الآن كانت غير مجدية ، فلجأت إلى آخر علاج : هذا « العريس » الموعود ينتوى اليوم إمتاع حبيبته بنزهة فى البحر ... وقد أعددت كل شىء لأحقق رغبتى دون أن أقول لك كلمة واحدة ... فاستأجرت مركباً ورجالا أستطيع بواسطتهم بكل سهولة أن أخطف الحسناء..

— آه يا سيدى ..

— ماذا ؟ ..

— لقد أحسنت صنعا ، فأنت تأخذ الأمور كما يجب ، فلا شىء فى هذه الحياة يساوى إمتاع النفس ...

— إذن استعد لتأتى معى .. واهتم بإحضار كل أسلحتى بنفسك ، حتى يمكن ..

الحاكى : إنه يقطع كلامه فجأة لأنه لمح دونا إلفيرا مقبلة ...

استعدى الآن يا حضرة المقلداتية لتقليد دورها ...
أقبلى من بعد ! ... والآن لننظر ما سيكون من أمر هذه
المقابلة ...

المقلد : آه ! ... يا لها من مقابلة مزعجة ! ... أيها الخائن
سجاناريل .. إنك لم تقل لى إنها قد جاءت إلى هنا
بنفسها ...

— إنك لم تطلب منى ذلك يا سيدى ! ..

— هل هى مجنونة حتى تغير ملابسها ، وتأتى هنا
فى مثل هذه الملابس الكئيبة ؟! ..

المقلدة : هل تسمح يا دون جوان وتتكرم بالتعرف علىّ ؟ ...
وهل أستطيع أن آمل على الأقل أن تتنازل وتنظر إلى
ناحيتى ؟ ..

المقلد : أعترف لك يا سيدتى أنى مندهش ، وأنى لم أكن
أنتظرك هنا ..

المقلدة : أرى بوضوح أنك لم تكن تنتظرنى هنا ... وأنك
مندهش .. ولكن على غير ما كنت أتمنى ... والطريقة

التى تظهر بها دهشتك أمامى أقنعتنى تماماً بما رفضت أن أصدق من قبل ... إنى أعجب من سذاجتى وضعف قلبى ، إذ تشككت فى خيانتك التى تؤيدها مظاهر كثيرة ... وأعترف أنى كنت سليمة النية ... أو إن شئت غبية ، حتى قبلت أن أخدع نفسى وأحاول تكذيب عينى وتغيير حكمى عليك ... لقد بحثت عن مبررات لأعتذر بها إلى قلبى عن ذلك الفتور فى المحبة الذى كنت ألمسه عندك ، وكنت أختلق عن قصد مئات الأعذار التى تبرر رحيلك المفاجئ ، لكى أبرئك من الجريمة التى يتهمك بها عقلى ... إن شكوكى العادلة كانت تساورنى كل يوم ... ولكننى كنت أرفض الاستماع إلى صوتها الذى كان يصورك مجرماً أمام عينى ... وكنت أستمع وأنا مسرورة إلى الآمال الواهية التى تصورك بريئاً أمام قلبى ... ولكن هذه الطريقة التى استقبلتنى بها لم تعد تسمح لى بالشك ... وقد أدركت من نظرتك الخاطفة التى ألقيتها علىّ ،

أشياء أكثر مما كنت أود أن أعرف ... ومع ذلك فإنه
يسرني جداً أن أسمع من فمك أسباب رحيلك .. تكلم
... أرجوك يا دون جوان ! ... ولنر كيف ستدافع
عن نفسك ؟ ..

المقلد : سيدتي ... ها هو ذا سجاناريل يعرف لماذا رحلت ...
تكلم أنت يا سجاناريل ! ..

ـــ أأ ... أنا سيدي ؟ ... أنا لا أعرف شيئا ...
أرجوك ..

المقلدة : حسنا يا سجاناريل ... تكلم .. لا يهمني من أي فم
أسمع تلك الأسباب ...

المقلد : تعال إذن ... واقترب يا سجاناريل وقل للسيدة ...

ـــ وماذا تريد مني أن أقول ؟ ..

المقلدة : قل ... ما داموا يطلبون منك ذلك ... قل لي ما هي
أسباب ذلك الرحيل المفاجئ ؟ ..

المقلد : تكلم ... ألا تجاوب ؟ ..

ـــ ليس عندي أي جواب يا سيدي ... إنك تهزأ

من خادمك ! ..

— تكلم ... قلت لك ! ..

— سيدتى ..

المقلدة : ماذا ؟ ..

المقلد : (**شخصية سجاناريل يستدير نحو سيده دون جوان**) سيدى ...

— (**شخصية دون جوان مهدداً**) إذا لم ...

— سيدى ... إن سبب رحيلنا هم الغزاة ... الإسكندر الأكبر والعوالم الأخرى ... هذا يا سيدى هو كل ما أستطيع أن أقوله ...

المقلدة : هل تتفضل يا دون جوان وتفسر لنا هذه الألغاز الجميلة ؟! ..

المقلد : الحقيقة يا سيدتى ..

المقلدة : آه .. لكم تسيء الدفاع عن نفسك ، كرجل من رجال البلاط كان ينبغي أن يكون متعوداً على مثل هذه الأمور ... إنى أشفق أن أراك فى مثل هذا الارتباك ...

لماذا لا تسلح جبهتك بجرأة النبلاء ؟ .. لماذا لا تقسم لى بأنك ما زلت عند شعورك نحوى ، وأنك ما زلت تحبنى بحرارة لا مثيل لها ... وأن شيئاً لا يستطيع أن يفصلك عنى إلا الموت ؟ ... لم لا تقول لى إن هناك أعمالا غاية فى الأهمية أجبرتك على الرحيل دون أن تخطرنى ؟ ... وأنه يجب عليك أن تبقى هنا بعض الوقت رغم إرادتك ، وأنه ليس علىّ إلا أن أعود من حيث أتيت ، وأنا واثقة أنك سوف تلحق بى فى أقرب فرصة ممكنه ، وأنه من المؤكد أنك تتحرق شوقاً للحاق بى ، وأنك تتألم لبعدك عنى كما يتألم الجسد عندما تفارقه الروح ؟ .. هكذا كان يجب أن تدافع عن نفسك وألا تظل هكذا مذهولا أمامى ..

المقلد : أعترف لك يا سيدتى أنى لا أملك موهبة إخفاء عواطفى .. وأنى أحمل قلباً صادقاً لن أقول لك إنى ما زلت عند مشاعرى بالنسبة إليك ... وإنى أتحرق شوقا للحاق بك ، حيث إنه من المؤكد أنى لم أسافر إلا هرباً

منك .. وليس لتلك الأسباب التي تتصورينها .. ولكن كان ذلك بوازع من ضميري ، إذ أعتقد أني لا أستطيع أن أعيش معك بعد ذلك من غير أن أرتكب خطيئة ... لقد بدأت الوساوس تخالجني يا سيدتي وقد تفتحت روحي على ما كنت أفعل ... وفكرت أني لكي أتزوجك قد اختطفتك من على سور أحد الأديرة ... وأنك نكثت بالعهد الذي كنت مرتبطة به من جهة أخرى .. وأن السماء غيورة جداً من مثل هذه الأمور .. حينئذ تملكتني النوبة وخشيت غضب السماء ورأيت أن زواجنا لم يكن إلا نوعا من الزنا المستتر ، وأنه سوف يجر علينا غضب السماء ... بالاختصار كان يجب عليّ أن أنساك وأن أهيىء لك الوسيلة لكي تعودي إلى قيودك الأولى.فهل تريدين يا سيدتي أن تعارضي مثل هذا القرار المقدس ؟ ... وأن تجعليني ، باحتفاظي بك، أعرض نفسي لانتقام السماء ؟ .. وأنه ..

المقلدة : أيها النذل الخليع ! .. قد عرفتك الآن تماماً .. ولكنى عرفتك لسوء الحظ بعد فوات الأوان ... ومثل هذه المعرفة لا يمكن إلا أن تضاعف من شقائى ... ولكن اعلم أن جريمتك لن تظل دون عقاب ، وأن نفس السماء التى تهزأ بها سوف تعرف كيف تنتقم من غدرك وخيانتك ...

المقلد : سجاناريل ... السماء ! ..

ـــ (**شخصية سجاناريل**) آه ... صحيح يسا سيدى ، إننا لا نهتم كثيراً بها ... نحن ..

ـــ (**شخصية دون جوان**) سيدتى ..

المقلدة : كفى ! .. لا أريد أن أسمع أكثر من هذا ... بل إنى ألوم نفسى لأنى سمعت أكثر مما ينبغى ... إنه لمن الجبن أن يتوسع الإنسان فى شرح ما أدى إلى فضيحته ... وفى مثل هذه المواضيع يجب على كل نفس نبيلة ، منذ اللحظة الأولى ، أن تختار طريقها ... لا تنتظر منى أن أنفجر فيك لوماً وشتما ... لا ... لا .. إنى لن أصرف

غضبى فى كلام غير مفيد ... ولكنى سأحتفظ بكل شدته للانتقام ... إننى أكرر عليك مرة أخرى : سوف تعاقبك السماء أيها الخائن الغادر على ما سببته لى من إهانة ... وإن كنت لا تخشى شيئا من السماء فاخش على الأقل غضب امرأة مجروحة ... (**تبتعد**) ..

المقلد : (**شخصية سجاناريل لنفسه**) آه .. لو ضميره يؤنبه ! ...

— (**شخصية دون جوان بعد تفكير قصير**) هيا بنا يا سجاناريل نفكر فى مشروعنا الغرامى ! ...

— آه ... يا له من سيد فظيع أقوم مكرها على خدمته ...

....

....

بيرجينت

لهنريك إبسن

ترجمة وتقديم : الدكتور على الراعى

الحاكى : أنا الحكاواتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) أعـرض عليكـم اليـوم لعبـة للمؤلـف « إبسن » اسمهـا « بيرجنت » ... كان ياما كان فى سالف العصر والأوان شاب قروى فقير اسمه « بيرجنت » يشعـر بالمعرة من فقره ، ويعيش بروحه على الأحلام ... هو كذاب جعجاع كسول ، ولكن المرء لا يملك إلا أن يحبه ، بل ويشغف به ... فوراء شطحات خيالـه المضحكة وأكاذيبه التى تثير الأعصاب ، تكمن مأساة الإنسان وشاعريته معا ... اضطراره الذى لا مفر منه إلى العيش فى الواقع الكالح ، وتمرده الذى لا يهدأ على هذا الواقع ذاته ... وخلف منظر بيرجنت الرث وجبنه البادى وولعه بالشراب ، تطلع جسور إلى مثل أعلى يبدو مستحيل التحقيق لمن هو ـــ فى الظاهر ـــ أكثر منه شجاعة ... وهو يتطلع دون تلبث إلى حياة الروح

الرفيعة متمثلة فى « سولفيج » ذات البراءة العذرية والجمال الأزلى ، ولا يتردد فى أن يعرض عليها قلبه وروحه .. هو الفقيرة الهزأة ، هو الخاطئ العاصى ، هو المجنون الذى لا صبر له على حياة العقلاء ... وهو فى سبيل « سولفيج » يخوض نضالا روحيا طويلا مع « الجن فى القلب والفكر » ... كيف حدث هذا كله ، سنرى ذلك من خلال لعب المقلداتى ... تقدم أيها المقلداتى وأخبرنا من ستقلد ... واذكر لنا اسمك أولا ..

المقلد : أنا المقلداتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد بيرجنت والحداد والرجل والشاب والوالد والعريس والملك والفلاح والقبطان والطباخ والقس وصانع الأزرار و..

الحاكى : إلى آخره .. إلى آخره ... وأنت أيها المقلداتية .. قدمى لنا نفسك وعملك ..

المقلدة : أنا المقلداتية (**تذكر اسمها الحقيقى**) وسأقلد آس أم بيرجنت كما سأقلد العجوز الأولى والعجوز الثانية

والفتاة ، وسولفيج والراعية الأولى والراعية الثانية والراعية الثالثة وهيلجا وكارى وأنيتر و ..

الحاكى : يكفي هذا ... فلنبدأ اللعبة .. نحن الآن قرب مزرعة آس أم الشاب بيرجنت ... انظروا هناك تل تعلوه أشجار الغابات ، وتتساقط منه مياه جدول جبلى ... وفى الجانب الآخر طاحونة عتيقة ... إنه يوم قائظ من أيام الصيف ... ها هو الشاب بيرجنت هبط التل من أحد الممرات، تتبعه أمه آس وعليها أمارات الغضب .. إنها تبادره بالكلام ..

المقلدة : بير ... أنت تكذب .

المقلد : ماذا ؟ .. أنا ؟ ... أكذب ؟! ..

المقلدة : أقسم إذن أنها الحقيقة ..

المقلد : أقسم ؟! ... لماذا أقسم ؟ ..

المقلدة : إخص ! .. أنت مفزوع ! ... أكاذيب ... أكاذيب .. أكاذيب ... هذا كل ما فى الأمر ..

المقلد : كل ما قلت هو الحق الصريح ..

المقلدة : تقدر أن تنظر فى وجهى دون خجل ؟ ... أولا وموسم العمل على وشك المجىء تهرب بالأسابيع سعياً وراء نزواتك الراقصة فى الجبال ، تسرق غزال الرنة فى الجليد ! ... غير أنك تعود وقد مزقت منك الثياب ... فأين صيدك ؟ ... وأين سلاحك ؟ .. تظن إنك تستطيع خداعى بقصص للصيد سخيفة مخترعة !؟ ... قل لى أين رأيت هذا الغزال ؟ ..

المقلد : قرب جيندين ...

المقلدة : (**ضحكة هازئة**) معقول جداً !؟ ..

المقلد : كنت مختبئا فى دغل ، محتميا به من ريح مثلجة .. وكان هو راقداً فى الجليد ، يبحث عن نبت يأكله ...

المقلدة : (**نفس الهزء**) لا يا شيخ ! ..

المقلد : كتمت أنفاسى ، ووقفت أستمع ، فوصلنى صوت حوافره تأكل فى الجليد ... ثم رأيت قرونه العظيمة ، فزحفت ببطء على بطنى متجها إلى أمام ، كانت الأحجار الصغيرة الناعمة تغطينى ... فأخرجت

رأسى من مخبئه ... يا له من غزال .. ناعم لماح مكتنز الشحم ... لم أكد أصدق عينى ..

المقلدة : لم تكد ! ..

المقلد : بانج ! ... أطلقت عليه رصاصة .. وقع الغزال بكل ثقله بين الأحجار ... وفى غمضة عين كنت راكبا على كتفيه ، ممسكا بأذنه اليسرى ... وإذ أنا موشك أن أغمد سكينى فى نحره ... هب الوحش البغيض واقفاً وصرخ ، ثم دفع برأسه فى الهواء وقذف بالسكين من يدى قذفا ، ثم إذا هو يستل قرونه ويخزنى بها حتى الصلب ، ويمسك برجلى فى قبضة من فولاذ .. ثم انطلق مسرعا كالبرق ، بحذاء حافة جيندين ...

المقلدة : (**دون وعى**) يا إله السموات ! ..

....

....

الحاكى : وهذا مشهد آخر من لعبة إبسن « بيرجنت » ... نحن الآن فى القاعة الملكية فى قصر ملك جبال دوفر ...

جمع كبير من رجال بلاط الجان ، من كل عمر وحجم ووصف .. الملك جالس على عره وتاجه فوق رأسه وصولجانه فى يده ... وبالقرب منه أولاده وبخاصة أقاربه متحلقين ... وفى مواجهته يقف بيرجنت .. وبالقاعة ثورة كبيرة .. رجال البلاط يصيحون : اقتلوه ! ... مسيحى تجاسر فخدع أجمل بنات ملك دوفر ! ... وهنا يصيح جنى شاب ..

المقلد : (جنى شاب) دعونى أقطع أصابعه شرائح ! ..

الحاكى : وجنى شاب آخر ..

المقلد : خلونى أمزق شعر رأسه ! ..

الحاكى : وجنية شابة ...

المقلدة : اسمحوا لى بأن أقطع قطعة كبرى من لحم إليته ! ...

الحاكى : وساحرة تمسك بمغرفة ..

المقلدة : هل نأكله ثريداً أم نضعه فى إناء الحساء ؟ ..

الحاكى : وساحرة أخرى تمسك شاطوراً ...

المقلدة : نلتهمه مشوياً أم محمراً على نار وسيخ ؟ ..

الحاكى : وها هو ذا الملك يشير إلى المستشارين ..

المقلد : اهدءوا ! ... آن الأوان لكى نكف عن تملق أمفسنا ... لقد انحدرت فى الآونة الأخيرة أمورنا ... ولا أحد يعلم هل تعود إلى صعود أم تمضى فتصبح هشيما ... لهذا لا نملك أن نرفض العون مهما كان مصدره ... ثم إن الشاب لا عيب يذكر فيه .. وهو ، إن لم أكن مخطئاً ، بادى الفحولة ... صحيح أن له رأساً واحداً فقط ، ولكن ابنتى بها هذا العيب ... إن الجان ذوو الثلاثة الرؤوس أصبحوا « مودة » قديمة ! ... بل أن ذوى الرأسين قد أضحوا نادرين ... ومن واجبى أن أقول إنهم ليسوا أصحاب منظر جميل ... إذن فأنت يا بيرجنت تجرى وراء ابنتى ؟ ..

— (بيرجنت) ابنتك ومملكتك معاً ، كجزء من وطنها ..

— (الملك) سأعطيك نصف المملكة وأنا حى ، فإذا ما انقطع نفسى فخذ الباقى ...

— (بيرجنت) اتفاق عدل ..

— (الملك) اصبر قليلا يا بنى ... علىّ أن آخذ منك بعض المواثيق ... فذا ما خرجت على أحدهما صار اتفاقنا لاغياً ... وإذ ذاك لن تخرج من هنا حياً ... عليك أولا أن تمحو من ذاكرتك العالم خارج الروند تجنب النهار وأموره ، ولا تمش مطلقاً فى الشمس ...

— (بيرجنت) ما دمت سأصبح ملكا فلن يكون هذا عسيراً ..

— (الملك) ثانياً : الآن نريد أن نتبين ما لا تعرفه من أمور ..

الحاكى : ها هو ذا أكبر رجال البلاط من الجن يقول ...

المقلد : (كبير البلاط) الآن نرى ما إذا كان ضرس العقل عندك يستطيع أن يكسر بندق الألغاز ، ويستخرج ، منها ثمار الحكمة لدى رجل عجوز ..

الحاكى : وها هو ذا الملك يلقى على بيرجنت سؤالا ..

المقلد : (الملك) ما الفرق بين الجنى والإنسان ؟ ...

— (بيرجنت) لا فرق مطلقاً فيما أرى ... كبير

السن بين الجن يريد أن يشويني ، وصغير السن يود لو يسلخني ... ونحن البشر نفعل المثل لو جرؤنا ! ..

ـــ (الملك) هذا حق ! ... هناك نقط تشابه كثيرة .. غير أن الصباح هو الصباح والليل هو الليل ، والفرق واضح إذا كان بصرك حديداً ... الآن أقول لك أنا ما الفرق ... هناك حيث البشر يعيشون تحت القبة الزرقاء ، يمضي القول : « أيها الإنسان لنفسك كن مخلصاً ! .. » أما في التلال فلسنا نأبه بمثل هذه الأقوال المعظمة للذات ... إنما نحن نقول : « أيها الجني » كفى بنفسك معينا » ...

ـــ تبدو لي المسألة غير واضحة ..

ـــ سأفهمك : « كفى بنفسك » عبارة شاملة يا بني ، وعليك أن تحفرها على شارتك ...

ـــ ولكن ..

ـــ هذا واجبك ، ما دمت ستصبح ملكا هنا ! ..

— ما دام هذا واجبا فهو واجب ... إنه ليس أسوأ ..

— وبعد هذا ، عليك أن توائم ما بيسنك وبين أسلوبنا البيتى الصريح البسيط فى الحياة ...

الحاكى : ويشير الملك فيدخل جنيان لهما رأسا خنزير ، يلبسان قلنسوتين بيضاوين ويحملان طعاما وشراباً ..

المقلد : (**الملك مستأنفا**) أبقارنا تلد فطائر ، وثيراننا تحلب العسل المخمر .. لا تسأل إن كانت الفطائر والعسل حلوة أم مرة ، فالمهم أن الفطائر بيتية والعسل مخمر فى المنازل ...

— (بيرجنت) اذهبوا للشيطان بشرابكم الغريب ! .. لن أعتاد أبداً أحوال بلدكم ..

— إن القصعة جزء من الشراب، وهى من الذهب ... فمن يأخذ القصعة يأخذ ابنتى أيضاً ..

— (بيرجنت متفكراً) هيه ... يقولون إن علينا أن نبلع ما نكره ... ولا شك عندى فى أننى سأعتاد هذا الطعم بمرور الوقت ... الآن أشرب ...

ـــ هذا قول حكيم ! ... لكن ... أتبصق ؟! ...

ـــ كان هذا مجرد ... حكم العادة ..

ـــ بعد هذا ... عليك أن تخلع ملابسك المسيحية ... في هذا البلد يشرفني أن أقول إن كل شيء هو من صنع الجبال ... لا شيء يأتينا من الوادى إلا الذيول ..

ـــ (فى غضب) أنا لا ذيل لى ..

ـــ إذن أعطيك ذيلا .. أيها الحاجب ، ألصق به أفخر ذيولى ! ..

ـــ إياك أن تجسر ! ... أنتم تسخرون منى ؟ ..

ـــ لن تستجيب لك ابنتى وعجزك عاطل من الذيل ! ...

ـــ أتريدون أن تحيلوا البشر وحوشاً ! ..

ـــ يا ولدى ، أنت مخطىء ! ... إنما أنا أحيلك فارساً غندوراً ... سنعطيك ذيلا أصفر فى لون اللهب ... وهذا تشريف ما بعده تشريف ..

ـــ هيه ... يقولونَ إننا ريش فى مهب الريح ، وأن

العادة والطريقة تحملاننا حملا ... ليكن إذن ، امضوا قدماً ! ..

ـــ أنت شاب حكيم ...

الحاكى : وركب له الذيل ... وقال له رجل البلاط ...

المقلد : (رجل البلاط) انظر كيف تحرك ذيلك فى خيلاء!.

ـــ (بيرجنت مغيظا) أهناك شى آخر يجب أن آتيه ؟ ... هل أنزل عن عقيدتى المسيحية أيضاً ؟ ..

ـــ (الملك) بل تمسك بها إذا كان هذا يسرك ... حرية المعتقد هنا مكفولة ... لاضرائب عليها ... إنما يميز الجنى طريقة تفصيل ثيابه ... إذا ما اتفقنا على العادات والملابس فأنت حر فى أن تؤمن بما تشاء ، ولو كان جديراً أن ينزل فى قلوبنا الفزع ..

ـــ بالرغم من الشروط التى تفرضونها ، فأنتم أكثر اعتدالا مما قدرت ..

....

....

بستان الكرز

لأنطون تشيخوف

ترجمة الدكتور : سهيل إدريس

الحاكى : أنا الحكاواتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) أعرض عليكم لعبة للمؤلف تشيخوف اسمها « بستان الكرز » ... كان يا ما كان فى روسيا القديمة أسرة أرستقراطية ، ولكنها أخذت تميل نحو الفقر ... كان لها بستان كرز من بقايا عزها الماضى حاولت أن تتشبث به ... كان هذا هو موقف الأم فى هذه الأسرة ، وتجاه هذه الأم التى تعيش فى هذا الماضى ، نهضت الابنة والطالب اللذان ينشدان الحياة الجديدة ويطلبان التحرر من ربقة الماضى الميت ... نحن إذن أمام لعبة تدعو إلى تجديد الحياة ونفض غبار الماضى ... وسيعرض علينا المقلداتى والمقلداتية الآن ما تحويه هذه اللعبة من شخصيات ... تفضل أيها المقلد ... وعرفنا بنفسك وعملك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد غاييسف ولوباخين وتروفيموف وبيشتشيك وأبيخودوف وفيرس وغيرهم ...

الحاكى : وأنت يا ست ... تفضلى !...

المقلدة : أنا المقلداتية ... (**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد رانيافسكى وابنتها آنيا وفاريا ابنتها بالتبنى ودونياشا وشارلوت ...

الحاكى : والآن فلنبدأ اللعبة ... نحن فى غرفة ... لا تزال تدعى فى هذه الأسرة « غرفة الأولاد » ... ونحن الآن عند الفجر ... وعما قليل تشرق الشمس ... مطلع نوار : شجرات الكرز مزدهرة فى البستان ، ولكن لا يزال الجو بارداً ... طبقة خفيفة من الجليد الأبيض تغطى الأرض فى الخارج ... أما غرفنا هذه فمغلقة النوافذ ... فى هذه اللحظة تدخل دونياشا الفراشة ومعها شمعدان ... وخلفها لوباخين يحمل كتابا ... ويحادثها ... اشرعا الآن فى العمل ...

المقلد : لقد وصل القطار أخيراً !... كم هى الساعة الآن ؟...

المقلدة : حوالى الثانية ...

الحاكى : أطفئى الشمعة الآن ... لأن ضوء الصبح ظهر ...

المقلدة : لقد طلع النهار ...

المقلد : كم تأخر القطار ؟... ساعتين على الأقل ... (**يتثاءب ويتمطى**) أى أبله أنا !... لقد أتيت خصيصاً إلى هنا حتى أذهب فأنتظرهم على المحطة ، فإذا الوقت يفوتنى وأنا نائم على كرسىّ !... إن هذه مصيبة !... لقد كان عليك أن توقظينى !...

المقلدة : حسبتك قد ذهبت ... (**ترهف السمع**)آه !... ها هم قد وصلوا ، على ما أعتقد ...

المقلد : (**مصغيا هو أيضاً**) كلا ... فعليهم أن يأخذوا الأمتعة ... وعليهم هذا وذاك ... لقد أمضت ليوبوف أندرييفنا خمسة أعوام فى الخارج ، فكيف تراها أصبحت الآن ؟... إنها امرأة ممتازة ، بسيطة مرحة .. أذكر أننى حين كنت غراً فى الخامسة عشرة ، كال لى أبى الذى كان يدير حانوتاً فى القرية ضربة على وجهى سال لها الدم من أنفى ... وكنا قد قدمنا إلى هذا البيت لسبب لا أذكره ، وكان أبى ثملا

بعض الشيء ، فإذا بليوبوف أندريفنا ، وكانت لا تزال صبية رقيقة العود تقودنى إلى هذه المغسلة ... فى غرفة الأولاد هذه وتقول لى : لا تبك يا موجيكى الصغير ...

الحاكى : موجيك تعنى الفلاح الصغير ...

المقلد : (**مستأنفا**) لا تبك يا موجيكى الصغير ... فلن يظهر أى أثر لذلك قبل زواجك ... يا موجيكى الصغير !... صحيح إن أبى كان فلاحاً ، وكنت أنا أرتدى صدارة بيضاء وحذاء أصفر !... وأشبه خرطوم خنزير يطال الحلوى متى شاء ... كنت حديث نعمة ، وكان المال بين أيدينا وفيرا !... ولكننى بعد كل حساب لم أكن إلا فلاحا ... (**يقلب الكتاب**) لقد قرأت هذا الكتاب فلم أفهم منه كلمة ... وكان أن نمت ...

المقلدة : إن الكلاب لم تنم هذه الليلة ... فقد كانت تشعر بأن أسيادها عائدون ...

المقلد : ماذا دهاك يا دونياشا ؟...

المقلدة : إن كفىّ ترتعشان وإخالنى ستسوء حالتى ...

المقلد : إنك ناعمة سريعة التأثر يا دونياشا !... ومع ذلك فأنت ترتدين ثياب الأوانس ... إن هذا لا يصح ، وينبغى للمرء أن يذكر ما هو !...

الحاكى : هنا يدخل أبيخودوف حاملا باقة ... إنه يرتدى ثوبا أنيقاً وحذاءين ملمعين جداً يحدثان زقزقة كلما سار خطوة ... وتسقط الباقة من يده فيلمها ويناولها دونياشا ...

المقلد : (أبيخودوف) إن البستانى يرسل هذه الزهور لتوضع فى غرفة الطعام ...

— (لوباخين لدونياشا) إيتينى بقدح من الكفاس !...

المقلدة : سمعا يا سيدى ...

المقلد : (أبيخودوف) الحرارة ثلاث درجات ، جليد أبيض وشجرات الكرز مزهرة !... إننى لا أستطيع أن أوافق على طقسنا ... (يتنهد) فهو غير قادر على أن يعطى

شيئا مناسبا ... وأنا أضيف إلى ذلك يالوباخين أنى اشتريت أمس الأول زوجا من الأحذية أجرؤ على أن أؤكد لك أنه يصيح بشدة ، متجاوزاً كل إذن له بالصياح ... فبأى شيء يمكن لنا أن نشحمه ؟...

— (لوبساخين) دعنسى !... فـأنت تضايقنسى وتضجرنى ...

— (أبيخودوف) ليس هناك يوم لا تحصل فيه مصيبة ، ومع ذلك فأنا لا أشتكى ، بل قد تعودت ذلك ... ولذلك ترانى أبتسم ...

المقلدة : (**دونيـاشا تـأتى بـالشراب وتقـدم القـدح للوباخين ...**)

المقلد : (أبيخودوف) إنى ذاهب ... (**يصطدم قدمه ويقع على الأرض**) انظر !... إنك لترى يالوباخين !... عفواً للعبارة !... فأية مصيبة هذه بين المصائب ... إن هذا ليدعو للتأمل حقاً ... (**يخرج**) ...

المقلدة : وأنا ينبغى لى أن أعترف لك يالوباخين .. لقد طلبنى

أبيخودوف للزواج ...

المقلد : هكذا إذن !...

المقلدة : إننى فى حيرة ... إنه رجل لطيف ، ولكنه حين يتحدث إليك لا تفهم منه شيئاً ، على الغالب ... إن ما يقوله طيب ومؤثر ، ولكن لا يفهم منه شيء ... وأنا أظن أنه يروق لى ... هو يحبنى حتى الجنون ، ولكنه رجل كثير المصائب : فكل يوم يحدث له شيء ... ولهذا سموه « اثنتان وعشرون مصيبة » !...

المقلد : (**مصغيا**) أظن أنهم قد وصلوا ...

المقلدة : إنهم هم ... ماذا دهانى ؟!... أشعر أنى مقرورة ...

المقلد : أجل ... إنهم هم ... هيا إلى لقائهم !... أتراها ستعرفنى ؟... لقد مضت خمسة أعوام لم ير فيها أحدنا الآخر ...

المقلدة : (**منفعلة**) إن قواى تخور !... آه ... يكاد يغمى على !...

الحاكى : يسمع صوت سيارتين ... لوباخين ودوناشا يخرجان

بسرعة ... ثم ها هى أصوات فى الغرف المجاورة ... وها هو ذا فيرس الفراش العجوز عاد من المحطة حيث اصطحب السيدة رانيافسكى ، إنه يتوكأ على عصا ... إنه يرتدى ثوباً رسمياً قديماً وقبعة عالية ... وها هى ذى السيدة رانيافسكى وآنيا وشارلوت ، تقود كلباً صغيراً مربوطاً بحبل ... ثلاثتهن فى ثياب السفر ... أما فاريا فترتدى معطفاً وعلى رأسها منديل ... ويظهر أيضاً غاييف ربيشتشيك ولوباخين ، ودونياشا التى تحمل حزمة كبيرة ملفوفة بقطعة نسيج ومظلة ... وبعض الخدم ينقلون المتاع ... ثم ها هى ذى آنيا تخاطب أمها ...

المقلدة : (آنيا) ماما... هل تذكرين ما كانت هذه الغرفة؟...

— (رانيافسكى) إنها غرفة الأولاد ...

— ما أشد البرد !... إن أصابعى مجلدة إن غرفتيك البيضاء والبنفسجية لم تمسا يا أمى ...

— غرفة الأولاد!. كم أنا أحبها!. وكم هى جميلة!. لقد

كنت أنام فيها وأنا صغيرة ... (**دمعة**) وأنا اليوم ما زلت كما لو أنني صغيرة !...

المقلد : (غاييف) لقد تأخر القطار ساعتين !... فأى نظام !...

المقلدة : (شارلوت) إن كلبي يأكل كل شيء حتى البندق !...

المقلد : (بيشتشيك) البندق ؟!... صحيح ؟!...

الحاكي : ويخرج الجميع الآن ... ولا يبقى غير دونياشا وآنيا ...

المقلدة : (دونياشا) كم كنا ننتظركم !...

— (آنيا) هذه الليلة الرابعة التي لا أنام فيها ... إنى مقرورة حتى العظام !...

— (دونياشا) فى أثناء الصوم الكبير حين ذهبت ، كان الثلج يتساقط ، لا كما هو الحال الآن ... آه أيتها الآنسة الحبيبة ... لكم تأخرت عليّ رؤيتك ... يا فرحتي ... يا نوري ... يا قلبي !... يجب أن أخبرك

من غير أن أضيع لحظة ...

ــ (آنيا) (**متعبة**) أهناك حكاية أخرى يا دونياشا ؟...

ــ لقد طلبنى أبيخودوف المحاسب للزواج بعد الفصح ...

ــ إنك تحلمين دائماً الحلم نفسه ... (**تنسق شعرها**) لقد فقدت جميع دبابيسى ... (**تبدو متعبة جداً حتى إنها لتترنح**) ...

ــ أنا حائرة جداً ... فهو يحبنى .. إلى أقصى حد !...

ــ (آنيا) (**تنظر فى اتجاه غرفتها بحنان**) غرفتى ... نوافذى ... لكأنى لم أذهب ... إننى فى منزلى ... سأعدو فى البستان » ... آه ... ليتنى أستطيع النوم !... إننى لم أنم لحظة طوال الطريق ، لفرط قلقى ...

ــ أمس الأول وصل باتيا إلى هنا ...

— (آنيا) (فرحة) بانيا ؟...

— ولقد ترك فى جناح الحمام ... وهو الآن نائم ... فقد خشى أن يزعجكم ... ينبغى إيقاظه ... ولكن فاريا قد منعتنى من ذلك ...

الحاكى : ها هى ذى فاريا تأتى ورزمة مفاتيحها معلقة بنطاقها ...

المقلدة : (فاريا) أعدى لنا القهوة يا دونياشا ، بسرعة !... إن أمى تطلب قهوة ...

— (دونياشا) على الفور ... حالا ... (تخرج) ...

الحاكى : والآن فاريا تلتفت إلى آنيا وتحادثها وتلاطفها ...

المقلدة : وأخيراً ، ها أنتم قد وصلتم ... فشكراً يا إلهى !... لقد رجعت ... لقد عادت حبيبتى ، جميلتى !...

— ما أشد ما عانيت يا فاريا !...

— إنى أتصور ذلك ...

— حين ذهبت ، ذلك الأسبوع الذى سبق الفصح ،

كان البرد شديدا ، ولم تنقطع شارلوت عن الكلام لحظة طوال الطريق ، ولا عن القيام بأدوار الشعوذة ... لماذا تراك يا فاريا قد أربكتنى بشارلوت هذه ؟...

ـــ ما كان لك ، وأنت فى السابعة عشرة ، أن تسافرى وحدك إلى الخارج ...

ـــ ووصلنا إلى باريس ، فكان البرد فيها قاسيا ، وكان الثلج يتساقط ، وقد أخذت أتكلم الفرنسية بقسوة ... وكانت الماما تسكن الطابق الخامس ... ولقد وجدت عندها فرنسيين وسيدات وكاهنا مسنا يحمل كتابا ... وكان دخان التبغ منتشراً فى كل مكان ... ولم يكن ثمة أية وسيلة من وسائل الراحة ... ولقد أشفقت فجأة على الماما ، فأخذت رأسها بين يدى ، ولم أستطع أن أتركه بعد ذلك ... ثم ضمتنى الماما وبكت ...

— (**والدموع فى عينيها**) اسكتى ، ولا تحكى بعد !...

— كانت الماما قد باعت مقصورة مانتون ... ولم يبق لديها شيء ... وأنا أيضاً لم يبق لى فلس واحد ... لم يكن معنا أكثر من أجرة الطريق ، ومع ذلك فإن الماما لا تدرك من ذلك شيئا !.. وفى أثناء السفر كنا نتناول الطعام فى البوفيهات ، وكانت تطلب أثمن ما كان موجوداً وتعطى الخدم هبات من الروبلات ، وكذلك كانت تفعل شارلوت ، وأما إياشا ، خادم الماما ، وقد صحبناه معنا فقد كان يطلب لنفسه عشاء كاملا ... إن هذا لفظيع ...

— لقد رأيته ، ذلك الطويل الأبله ...

— وهنا ، ما الذى حدث يا فاريا ؟... هل دفعت الفوائد ؟...

— وبم تريدين أن تدفع ؟...

— يا إلهي !... يا إلهي !...

— سيباع بستان الكرز في شهر آب ...

— يا إلهي !...

الحاكي : يشق لوباخين الباب ، فيراهما ويقول « همهم » ثم يذهب ...

المقلدة : (فاريا) (**تمد قبضتها نحو لوباخين**) هذا ما أود أن أكيله لهذا الشخص !...

— هل طلبك للزواج يا فاريا ؟...

— (**فاريا تهز رأسها**) ...

— إنه إذن يحبك ... فلماذا لا تتصارحان ؟... ما الذي تنتظرين ؟...

— أحسب أن ذلك لن يتم ... فهو مشغول جداً عني ... وهو لا يفكر بي ... ليباركه الله !... إنه ليشق عليّ أن أراه ... فجميع الناس يتحدثون عن زواجنا ، وجميع الناس يهنئونني ، وليس هناك في

الحقيقة أى شيء ... إن هذا كالحلم ... (**مصغيرة لهجتها**) آه !... أى دبوس جميل هذا !... هل هو نحلة ؟!...

— (**بكآبة**) لقد اشترتها لى الماما ... (**بفرح طفولى**) فاريا ، لقد ركبت المنطاد فى باريس !...

— لقد عادت جميلتى وحبيبتى آنيا ...

ست شخصيات

تبحث عن مؤلف

للويجي بيراندللو

ترجمة : محمد إسماعيل محمد

مراجعة وتقديم : حسن محمود

الحاكي : أنا الحكاواتي ... (**يذكر اسمه الحقيقي**) أعـرض عليكم الليلة لعبة للمؤلف بيراندللو ... اسمها « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » ... كان ياما كان ... كان ماذا ؟... في الواقع لا توجد هنا حكاية يمكن حكايتها ... فالمؤلف كانت في رأسه أصلا قصة عن أب يجد ابنة زوجته في دار للدعارة ، وهي تأبى الخضوع لغرائز الرجل الذي يرفض الشيخوخة ، وكان لدى المؤلف كل العناصر التي تقوم عليها القصة ... ولكن القصة لا تسير ، وعجز عن كتابتها ، وظلت تدور في ذهنه بضع سنوات تراوده ... ولكنه لم يحقق فكرتها ... وعلى ذلك رأى أن يقص قصة المؤلف الذي لم يستطع تحقيق شخصياته على الورق فيطلقها إلى حيث تستطيع العيش ... وأين تعيش إذن ؟... في المسرح ، أمام خشبة المسرح وأضوائه ؟... ومن تقصد هذه الشخصيات ؟... مدير المسرح بالطبيعة ، حيث أن المؤلف لم يعد راغبا

فيها ، فله مشاغله وأرزاؤه ، وهى الآن تريد أن تعيش ... هذه هى قصة هذه اللعبة التى نعرضها عليكم ... إنها قصة تمثيل التمثيل ... وسنرى كيف يقوم المقلداتى وزميلته المقلداتية بهذه اللعبة الصعبة ... تفضل يا حضرة المقلداتى وقل لنا ما اسمك وعملك ؟...

المقلد : أنا المقلداتى (**يذكر اسمه الحقيقى**) وسأقلد الأب والابن ومدير المسرح والممثلون ومدير المناظر والملقن والميكانيكى وسكرتير المدير وبواب المسرح و ...

الحاكى : و ... و ... مفهوم ... مفهوم ... وأنت يا ست ...

المقلدة : أنا المقلداتية ... (**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد الأم وابنة الزوجة ومدام باتشى والممثلة الأولى والثانية و ...

الحاكى : وبس كفاية ... نبدأ الآن ... نحن فى هذه اللعبة على خشبة مسرح يكون فيه الستار مرفوعا دائماً أمام

المتفرجين عند دخولهم وانصرافهم ... وليس هناك كذلك مناظر أو ديكورات وقد أزيح صندوق الملقن ووضع على جنب ... كل ذلك لإشعار المتفرجين من البداية أنهم يشاهدون مسرحية لم يتم إعدادها بعد ... وفى مقدمة خشبة المسرح منضدة صغيرة ومقعد ذو مسند ، أدير كتفه ناحية النظارة : إنه المقعد الخاص بالمدير ... ومنضدتان أخريان ، إحدهما أكبر من الثانية ، مع كراسى حولها صفت كلها فى مقدمة المسرح حتى تكون فى متناول اليد عند الحاجة إليها أثناء إجراء التجربة أى البروفة ... وعندما تطفأ أنوار القاعة يدخل الميكانيكى يرتدى ثيابا زرقاء حاملا أدواته فى حقيبة معلقة فى خصره ويلتقط بعض ألواح الديكور من أحد أركان المسرح ويتقدم بها إلى الجزء الأمامى ويركع على ركبتيه ثم يبدأ دق الألواح بعضها ببعض ... وعند سماع صوت الدق يهرول مدير المناظر مندفعاً ... والآن تقدم أيها المقلداتى

مندفعاً ... كما دخل مدير المناظر على الميكانيكى ...

المقلد : (مدير المناظر) أوه !... ماذا تفعل ؟...

— (الميكانيكى) ماذا أفعل ؟... أدق ...

— (مدير المناظر) (**ينظر فى ساعته**) فى هذا الوقت ؟... لقد بلغت الساعة العاشرة والنصف ، الآن سيصل المدير بعد لحظات لإجراء التجربة ...

— يجب يا سيدى أن يتاح لى الوقت لأؤدى عملى ...

— وهو كذلك ، ولكن ليس الآن ...

— متى إذن ؟...

— بعد أن تنتهى التجربة ... هيا ... هيا ... ارفع كل شىء من هنا ، ودعنى أهيئ المكان لمسرحية « لعبة الأدوار » ...

الحاكى : ويجمع الميكانيكى أدواته وقطعه الخشبية وهو يتمتم ويزمجر ويغادر المسرح ... وفى هذه الأثناء يدخل ممثلو الفرقة من رجال وسيدات عن طريق الباب الخلفى ... يدخل أحدهم أولا ثم يدخل آخر ، ويتبعه

اثنان آخران بالطريقة التى تحلو لهم جميعاً : مجموع الممثلين تسعة أو عشرة وهو العدد اللازم لتمثيل مسرحية بيراندللو « لعبة الأدوار » التى حدد لها ذلك اليوم ... وأثناء دخولهم المسرح يحيى كل منهم الآخر ويحيون مدير المناظر بقولهم « صباح الخير » يقولها كل منهم مبتسما بابتهاج ... ويذهب بعضهم إلى حجرات ملابسهم والآخرون ، وبينهم الملقن الذى يحمل نسخة المسرحية تحت إبطه ، يبقون على المسرح فى انتظار حضور المدير لبدء التجربة ... والبعض جالس والبعض الآخر يقف فى مجموعات صغيرة يتبادلون الأحاديث فيما بينهم ... وبعضهم يشعل سيجارة والبعض يشكو من الدور الذى أسند إليه ، والبعض يقرأ على زملائه فقرة من جريدة مسرحية ... وغير ذلك من صور ذلك الجو الذى يسود خشبة المسرح قبيل بدء البروفات ... إلى أن يأتى المدير ... وقد أتى بالفعل ... فقد تنبه إلى اقترابه مدير المناظر

فصفق بيديه ليلفت أنظار الجميع إلى مراعاة النظام ...

المقلد : (**مدير المناظر مصفقاً بيديه**) هيا بنا ... هيا بنا ... كفاكم هذا ... لقد جاء السيد المدير ...

الحاكي : وعندئذ يتوقف كل شيء ويسود صمت ، ويلتفت الممثلون ... ويرون المدير داخلا من باب الصالة ، المدير داخلا من باب الصالة ، ويسير فى الممر بين مقاعد النظارة وعلى رأسه قبعة ثقيلة ويحمل عصا صغيرة تحت ذراعه ... وهو يضع سيجاراً ضخما بين شفتيه ... ويحييه الممثلون ... ثم يصعد إحدى درجات السلم المؤدى إلى خشبة المسرح ... ويتقدم إليه السكرتير بالبريد ومسرحية مغلفة ...

المقلد : (المدير) رسائل ؟...

— (السكرتير) هذا هو كل البريد الذى وصل يا سيدى المدير ...

— (**يرد إليه البريد باشارة**) ضعها فى مكتبى ... (**يلتفت إلى مدير المناظر**) أوه ... لا أكاد أرى ...

قليل من الضوء إذا سمحت ...

— (مدير المناظر) فى الحال ...

— (المدير مصفقاً بيديه) هيا بنا ، لنبدأ الآن ... هل من غائب ؟...

— (مدير المناظر) الممثلة الأولى ...

— (المدير) كالعادة ... (**ينظر فى ساعته**) لقد تأخرنا عشر دقائق إلى الآن ... أرجو احتساب هذا التأخير حتى تتعلم المحافظة على مواعيد التجربة ...

الحاكى : وفى هذه اللحظة يسمع صوت الممثلة الأولى داخلة من نهاية الصالة ، ترتدى ملابس بيضاء وقبعة كبيرة مثيرة وتحمل بين يديها كلبا صغيراً ...

المقلدة : (الممثلة الأولى) لا ، لا ، أرجوك ... أنا هنا ... لقد وصلت ...

المقلد : (المدير) هكذا تصرين على أن ننتظرك دائماً !...

المقلدة : عذراً ... طال بحثى عن سيارة أصل بها إلى هنا فى الوقت المناسب ... ولكنكم لم تبدأوا على أية حال ،

ودورى فى المسرحية يأتى متأخراً ... (**تشير إلى مدير المناظر وتسلمه كلبها الصغير**) احبسه فى غرفة ملابسى إذا سمحت ...

المقلد : (المدير مزمجراً) الكلب !... لسنا فى حاجة إلى المزيد من الكلاب !... (**يصفق بيديه إلى الممثلين والملقن**) هيا ... هيا ... الفصل الثانى من مسرحية « لعبة الأدوار » ... الآن أيها السادة من عليه الدور ؟... (**للممثلة الأولى**) آه !... أنت إذن مشتركة فى هذا المشهد ؟...

المقلدة : أنا ؟... لا يا سيدى ...

المقلد : قومى ابعدى عن هذا المكان إذن ... والآن ابدأ أيها الملقن !...

ـــ (الملقن) (**يقرأ من نسخة المسرحية**) « منزل ليونى جالا ... حجرة غريبة ... نصفها حجرة مائدة والنصف الآخر حجرة مكتب » ...

ـــ (المدير) سنستخدم القاعة الحمراء ...

— (الملقن) (**مستمراً فى القراءة**) منضدة معدة للطعام ، ومكتب عليه كتب وأوراق ، ورفوف كتب كثيرة ... واجهات بها تحف ثمينة ... باب خلفى يؤدى إلى المطبخ ... المدخل الرئيسى إلى اليمين ...

— (المدير) حسن ... والآن انتبهوا جيداً ... هنا ... المدخل الرئيسى وهنا ... المطبخ ... (**يلتفت إلى الممثل الأول**) أنت الذى ستمثل دور سقراط ... ستدخل وتخرج من هذا الجانب ... وأنت يا مدير المناظر نريد باراڤان فى المؤخرة وبعض الستائر ...

— (مدير المناظر يدون مذكرة) وهو كذلك يا سيدى المدير ...

— (المدير) والآن استمر أيها الملقن ...

— (الملقن مستمراً فى القراءة) .. المنظر الأول ، ليونى جالا ، جويدو فيناترى ، فيليبو المسمى

سقراط .. (**إلى المدير**) هل يجب أن أقرأ التوجيهات أيضا يا سيدى المدير ؟...

ــ (المدير) نعم ... نعم ... قلت ذلك من قبل مائة مرة !...

ــ (الملقن يقرأ) عندما ترفع الستار ، يظهر ليونى جالا مرتدياً قبعة طباخ ومئزرا يخفق بيضة فى وعاء بملعقة خشبية ... فيليبو كذلك يرتدى ملابس طباخ يخفق بيضة أخرى ...

ــ (المدير ملتفتا إلى الممثل الأول) ماذا بك يا ممثلنا الأول ؟... هل تريد أن تقول شيئاً ؟...

ــ (الممثل الأول) معذرة !... ولكن هل يجب أن أضع على رأسى قبعة الطباخ هذه ؟...

ــ (المدير) قطعاً !... هذا ما كتب هنا ... فى نسخة المسرحية !...

ــ (الممثل الأول) معذرة !... إنه شيء يدعو للسخرية !...

ــ (المدير) يدعو للسخرية !... ماذا تتوقع منى أن أفعل ؟... لم يعد يرد إلينا من فرنسا مسرحيات أفضل من هذه ... فلم يبق أمامنا إلا عرض مسرحيات بيراندللو التى لا يفهمها إلا الأذكياء ، كأنما مسرحياته موضوعة قصداً لكيلا يرضى عنها الممثلون ولا النقاد ولا الجمهور ... نعم يا سيدى ... قبعة طباخ تلبسها !... وتخفق البيض !... وهل تعتقد أن المسألة تقتصر على أن تشغل نفسك بخفق هذا البيض ... ولا يبقى فى يدك شىء ؟... كن حصيفا !... يجب أن تمثل أيضا قشرة البيضة التى تخفقها ... (**الممثلون يضحكون**) تضحكون جميعاً ؟!... أرجوكم الهدوء ... واستمعوا إلىّ عندما أشرح ... (**إلى الممثل الأول**) نعم يا سيدى ... قشرة البيضة ... تعنى الصورة الفارغة للعقل دون امتلائها بالمخ ، وهو الغريزة ، فهى حينئذ عمياء ... فأنت العقل ، وزوجتك الغريزة .. وفى لعبة الأدوار

تقوم بدورك المسند إليك ، وفى الوقت ذاته تكون دمية نفسك ... هل فهمت ذلك ؟...

— (المثل الأول فاتحاً ذراعيه) أنا ؟.. لا ...

— (المدير) ولا أنا !... على كل حال لنستمر ، وبعد ذلك يمكنكم أن تعربوا لى عن إعجابكم فى النهاية ... (**فى لهجة الناصح للممثل الأول**) أقترح أن تستدير للجمهور بحوالى ثلاثة أرباع وجهك ... وإلا فمع غموض الحوار ، وعدم قدرتك على إسماع صوتك للجمهور ، ضاع كل شىء ... (**يصفق للممثلين**) هيا ... هيا ... دعونا نبدأ ... استمر يا حضرة الملقن ...

— (الملقن) معذرة يا سيدى ... أتسمح لى بأن أعيد الصندوق إلى مكانه ، فإنى أشعر بتيار هواء ...

— (المدير) أى نعم !... لا مانع ... أعده ...

الحاكى : عندئذ يدخل بواب المسرح وقد وضع قبعة على

رأسه ، وبعد أن يعبر القاعة يعلن إلى المدير وصول ست شخصيات ، ويتقدم هؤلاء الأشخاص فى القاعة ، وهم ينظرون حولهم وتبدو عليهم الحيرة والارتباك ...

المقلد : (البواب) معذرة يا سيدى المدير !...

— (المدير) ماذا أيضاً ؟...

— (البواب) بعض الناس يسألون عنك يا سيدى ...

— (المدير) ولكننا فى التجربة الآن !... وأنت تعلم جيداً أنه غير مسموح لأحد بدخول المسرح أثناء تجربة المسرحية ... (**يوجه كلامه بعيداً**) من أنتم أيها السادة وماذا تريدون ؟...

— (الأب وهو أحد الأشخاص الستة) نحن يا سيدى ... نحن نبحث عن مؤلف !...

— (المدير بين الدهشة والغضب) تبحثون عن مؤلف ؟!... من هذا المؤلف ؟...

ـــ (الأب) أى مؤلف يا سيدى ؟!...

ـــ (المدير) ولكن لا يوجد مؤلفون هنا ، لأننا لا نجرى تجربة على أية مسرحية جديدة ...

المقلدة : (ابنة الزوجة) هذا أفضل !... هـــذا أفضل !... يمكننا أن نكون نحن مسرحيتك الجديدة ...

هبط الملاك فى بابل

لفريد ريتش دورنمات

ترجمة وتقديم : أنيس منصور

الحاكى : أنا الحكاواتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) أعرض عليكم لعبة للمؤلف دورنمات اسمها : (**هبط الملاك فى بابل**) كان يا ما كان فى مدينة اسمها بابل ملك ... قرر هذا الملك أن يقضى على التسول فى مملكته .. فاستجاب له كل الشحاذين إلا شحاذاً واحداً رفض أن يطيع أمر الملك ... وأصر على أن يبقى شحاذاً ... ورأى الملك أن يذهب بنفسه إلى هذا الشحاذ ؛ ليقوم بإقناعه ... فارتدى ملابس شحاذ وذهب إليه ... لكنه لم ينجح فى إقناعه ... وخطر للملك أن يدخل مع الشحاذ فى مباراة : أيهما أقدر على الشحاذة ... وهنا هبط من السماء ملاك من الملائكة ومعه فتاة ، لتكون هدية إلى أفقر إنسان على الأرض ... ووجد الملاك والفتاة أمامهما اثنين من الشحاذين يتباريان ... أعجزهما عن الكسب معناه أنه الأفقر ... أى المستحق للفتاة ... وكان هو بالطبع الملك ... لأنه لا يمكن أن يتفوق على المحترف الحقيقى للشحاذة ... ما الذى

حصل بعد ذلك ؟... هذا ما سنعرفه من خلال لعب المقلداتى وزميلته المقلداتية ... تفضل أيها المقلداتى أولا ، وقل للحضور الكرام من ستقلد ؟... وابدأ بتقديم نفسك ...

المقلد : أنا المقلداتى ... (**يذكر اسمه الحقيقى**) سأقلد الملك والشحاذ والملاك ونمرود ملك بابل السابق ورئيس الوزراء وكبير الكهنة وقائد الجيوش ورجال البوليس والمليونير وتاجر لبن الحمير وأحد الطهاة وجندى أول وجندى ثان وجندى ثالث وعدد من الشعراء وجماهير و ...

الحاكى : كفايه ... كفايه ... وأنت يا ست ؟...

المقلدة : أنا المقلداتية ... (**تذكر اسمها الحقيقى**) سأقلد الفتاة ... واسمها فى اللعبة كوروبى ... وأقلد غانية اسمها طمطم ... وأقلد زوجة العامل الأول .. وزوجة العامل الثانى ...

الحاكى : عظيم ... عظيم ... فلنبدأ اللعبة إذن ... مكان اللعبة

هو هذا الميدان ... نعم نحن الآن فى ميدان ... فوقنا قبة السماء تبدو واضحة ... وفى هذه السماء تبدو النجوم متألقة كما تبدو من مرصد كبير ... ومن هذه السماء يهبط الملاك ... وإلى جواره الفتاة ... وقد هبطا بالفعل ولله الحمد ... اشرع الآن فى العمل أيها المقلداتى ... وقلد لنا الملاك وهو يخاطب الفتاة ... ولاحظ أنك فى ثياب شحاذ أنت أيضاً ...

المقلد : (**يقلد الملاك مخاطباً الفتاة**) ما دمت أنت يا ابنتى قد خلقك الله فى أحسن حال ، منذ لحظات مضت ، يجب أن تعرفى أننى أيضاً الذى أرتدى ملابس شحاذ ... أنا الملاك ... وأظن — إذا لم أكن قد أخطأت — أن هذه المادة الخشنة التى نزلنا عليها هى الأرض ... وأن هذه البيوت البيضاء هى مدينة بابل ...

المقلدة : نعم أيها الملاك ...

المقلد : وهذا الشىء المنحنى فوقنا ، إذا ما رفعت عينيك

قليلا ، هو القمر ... وهذه السحابة الكبيرة التي وراءنا هي الطريق اللبني ... وأنت تعرفينها ... فنحن آتيان منها حالا ... بالضبط ... ها هي الخريطة ... (**ينظر في كفه ويلعب بأصابع اليد الأخرى فيها كما لو كان في خريطة**) كل شيء مرسوم على الخريطة ...

المقلدة : نعم أيها الملاك ...

المقلد : وأعتقد أن هذه الكتلة القاتمة التي تتحرك أمامنا هي نهر الفرات (**يتأمل الخريطة التي هي كفه ثم ينزل إلى قرب الشاطئ — الوهمي طبعا — ويضع أصبعه في الماء ثم يضعها في فمه**) وأعتقد أنه مكون من كميات كبيرة من قطرات الندى ...

المقلدة : نعم ... أيها الملاك ...

المقلد : وأنت التي تمشين إلى جواري اسمك كوروني كما قلت لك ... وقد خلقك الله بنفسه منذ دقائق ... لأنني — وأستطيع أن أؤكد لك — قد رأيته بعيني وهو يمد

يده اليمنى إلى العدم ويحرك أصبعين من يده معا ، وبين أصبعيه ظهرت أنت ، فأول خطوات لك كانت على راحة يده ...

المقلدة : أتذكر ذلك أيها الملاك ؟...

المقلد : تذكرى ذلك دائماً ... لأنك منذ هذه اللحظة قد ابتعدت عن الذى خلقك من العدم وجعلك ترقصين على يديه ...

المقلدة : والآن إلى أين يجب أن أذهب ؟...

المقلد : يجب أن تذهبى إلى حيث أنت الآن ... يجب أن تكونى بين الناس ...

المقلدة : من هم الناس ؟...

المقلد : كان يجب أن أخبرك يا عزيزتى ... إننى لست خبيراً ولا عندى أية معلومات كافية عن هذه المرحلة من الخلق ... لقد استمعت إلى محاضرة واحدة فى هذا الموضوع ... وكان ذلك من ألوف السنين ... وتبعاً لهذا ؛ فإننى أعتقد أن الكائنات البشرية لها شكل مثل

شكلنا نحن ... وأعتقد أنه شكل غير عملى ... ويبدو أنهم مزودون بأعضاء مختلفة عنا ... ولا أعرف بالضبط ما هو الغرض من هذه الأعضاء ... وسأكون سعيداً عندما أسترد صفتى الملائكية قريباً ...

المقلدة : إذن فأنا من الناس ؟...

المقلد : طبعاً أنت من الناس ... لك نفس الشكل الإنسانى ... وتبعاً لتلك المحاضرة التى سمعتها يتزايد عدد المخلوقات بصورة تعاونية ... بينما أنت خلقك الله من العدم ... ولذلك يجب أن أصفك بأنك كائن غير إنسانى ... فأنت أبدية ؛ كالعدم تماما ... ولكنك روحية كالإنسان ...

المقلدة : فما الذى جئت به للبشرية ؟...

المقلد : لما كنت لم تبلغنى من العمر إلا ربع ساعة ، فلن أهتم كثيراً بمثل هذه الأسئلة ... ولكن يجب أن تعلمى أن الفتاة المهذبة لا تسأل كثيراً ... فليس من المفروض أن

تـأتى بشيء للبشرية دائمـاً ... على العكس مـن
ذلك ... لقد جيء بك للبشرية ...

المقلدة : لم أفهم ...

المقلد : لقد أمرت بأن أقدمك لأفقر إنسان هنا ...

المقلدة : من واجبى أن أطيعك ...

المقلد : أحقر الناس هم الشحاذون ... وبالتالى فأنت من
نصيب واحد اسمه : عـاق الشحـاذ ... وهـو إذا
صدقت هذه الخريطة (**ينظر فى كفه**) هو آخر شحاذ
على ظهر الأرض ... فهو كائن له قيمة أثرية ... حقاً
هذه الخريطة رائعة ... مكتوب فيها كل شيء ...

المقلدة : إذا كان الشحاذ عاق هذا هو أحط الناس ، فلا بد أنه
تعس ...

المقلد : ما أرق الكلمات التى نستخدمها ونحن صغار ...
فكل ما خلقه الله هو جميل ... وكل ما هو جميل هو
سعيد ... وفى كل رحلاتى فى هذا الكون الواسع لم
أصادف ذرة شقية ...

المقلدة : صدقت أيها الملاك ...

المقلد : هنا يوجد منحنى فى نهر الفرات ... وهنا يجب أن ننتظر حتى يجىء الشحاذ عاق ... سنجلس هنا ونغفو قليلا ... لقد أرهقتنى هذه الرحلة ... وأعتقد أننا ونحن نطوف حول كوكب عطارد مررنا بواحد من أقماره ... تعالى إلى جوارى ولفى ذراعيك حولى ... لقد اعتدت على الشموس بجميع درجات حرارتها ... أما هنا فأنى أكاد أتجمد ... وإن كانت هذه المنطقة ، كما تقول الخريطة ، من أدفأ الأماكن على ظهر الأرض ...

الحاكى : ناما الآن قليلا متقاربين ... نعم هكذا ... لأن ملك بابل سيدخل الآن من ناحية اليمين ... إنه شاب لطيف ساذج ... وحوله حاشيته التى تتكون من رئيس الوزراء ، وقائد الجيش ، وكبير الكهنة ، وجلاد يرتدى الملابس الحمراء ... انهض الآن أيها المقلداتى وقلد الملك وحاشيته ...

المقلد : (**مقلداً ملك بابل**) ما دامت قواتى فى الشمال قد وصلت إلى لبنان ، وفى الجنوب قد بلغت البحر ، وفى الغرب زحفت على الصحراء ، وفى الشرق لامست سلاسل الجبال ، إذن فقد غزوت العالم كله ...

— أنا رئيس الوزراء ، أقول : باسم الحكومة ...

— وأنا كبير الكهنة ، أقول : وباسم الكنيسة ...

— وأنا القائد ، أقول : وباسم الجيش ...

— وأنا الجلاد ، أقول : وباسم العدالة ...

— (**ينحنى**) ونحن الجميع نهنىء صاحب الجلالة على النظام الجديد الذى وضعه للعالم كله ...

— وأنا الملك ، أقول . لقد أمضيت تسعة قرون كشىء يضع عليه الملك نمرود قدميه ... وهذا وضع غير سار ... و لم يكن ذلك هو الهوان الوحيد ... وإنما أمضيت تسعة القرون وأنت يا رئيس وزرائى تبصق خلالها على وجهى كلما جاء لزيارتك أحد من الناس ...

— يا صاحب الجلالة إن الملك نمرود هو الذى أرغمنى على ذلك ... (**وينحنى**) ...

الحاكى : (**يدق على طبل**) هذه طبول زنوج تعلن الانتصار على الملك نمرود ...

المقلد : وأنا ملك بابل ؛ أعلن : أن الملك نمرود قد اعتقل ... وسيصل إلى بابل عند مطلع الفجر ، كما أعلنت الآن طبول الزنوج هذه ، التى أهدتها لنا بلقيس ملكة سبأ ... وسيكون نمرود مداسا لقدمى ، وسأرغمك على البصق فى وجهه يا رئيس وزرائى ...

— سمعا وطاعة يا مولاى !... عندما كنت جلالتكم قبل ذلك ملكا ، وكان الملك نمرود مداساً لك كان من واجبى كـ « رئيس وزرائك » أن أبصق على وجهه ... ولكن عندما أصبح نمرود ملكا ، وجلالتكم مداساً له ، كان لا بد أبصق على وجه جلالتكم ... أليس من الأفضل أن تعفينى من مهمة البصق هذه ... هذا مطلبى ... وكلما تقدمت به

حدث انقلاب فى الوضع ...

ـــ أنا ملك يحب العدل... العدل هو العدل... ستقوم بواجبك وتبصق... إن هذه الإمبراطورية متعفنة إلى أقصى درجة... ويجب أن لا أدخر وقتا فى تطهيرها... والحياة قصيرة... وكل المشاريع التى فكرت فيها عندما كنت مداساً لنمرود يجب أن أنفذها بسرعة...

ـــ أذكر جلالتكم بافتتاح ...

ـــ يدهشنى يا رئيس الوزراء أنك تعرف ما يدور فى رأسى ...

ـــ يا صاحب الجلالة ... الملوك على اختلاف درجاتهم يفكرون بصورة إنسانية عندما يكونون فى وضع مهين ...

ـــ تماما يا رئيس الوزراء ، كما حدث أيام الملك نمرود ... فقد ازدهرت الصناعات وتزايد عدد الباعة بالجملة والقطاعى والسماسرة ، وازداد أصحاب البنوك ... والشحاذون زادوا بصورة مخيفة ... وأنا الآن لا أستطيع أن أتخذ أى إجراء ضد أصحاب البنوك ... يجب أن أفكر فى الميزانية ... أما التسول

ـد أصدرت مرسوما بتحريمه ... هل نفـذت
اسيمي ؟...
طبعاً يا مولاى ... لقد حولت جميع الشحاذين إلى
ظـفين فى الدولـة ... إنهم الآن يجمعـون
ضرائب ... فيما عدا شحاذاً واحداً اسمه : عاق ...
، يصر على أن يظل شحاذا حتى الموت ...
ـ هل أقنعتموه بحقارة أسلوبه فى الحياة ؟...
ـ عبثا حاولنا معه ...
ـ هل جلدتموه ؟...
ـ وبلا رحمة ...
ـ هل عذبتموه ؟...
ـ لا يوجد مكان فى جسمه لم نوجعه ... لم
قرصه ... لم نلسعه بالنار ... ولا عظمة واحدة لم
ـدقها بالحديد ...
ـ ولا يزال مصراً على الرفض ؟...
ـ لا شيء يا مولاى يزحزحه عن موقفه ...
ـ عجيبة يا رئيس الوزراء !... ليس أسهل من شنقه
ولكن من التواضع أن يحقق حاكم مثلى ما يريده بلا

حجة ... لذلك قررت أن أضيع ساعة من وقتى أشارك فيها حياة أحط رعاياى ... ضع على كتفى ملابس الشحاذ التى أتيت فيها من المسرح ...

ــ أمرك يا صاحب الجلالة ...

ــ وضع اللحية التى تناسب هذه الأسمال البالية ...

الحاكى : ها هو ذا الملك ... ملك بابل العظيم يقف الآن متنكراً فى ملابس شحاذ ... وسنرى ماذا سيفعل ؟... وماذا سيكون من أمره ...

المقلد : نعم ... انظروا الآن جميعاً ماذا فعلت من أجل خلق إمبراطورية لا عيب فيها ، من أجل خلق نظام ينسجم فيه الجميع : الملك ــ الذى هو أنا ــ والوزير والجلاد والشحاذ ... كل واحد فى مكانه ... هذا هو الكمال ... لا شىء فيه أزيد من شىء ... لا شىء فيه يخرج عن شىء ... هذا هو الكمال ... لا شىء يتطفل على شىء ... ولكن هذا الشحاذ متطفل ... لقد قررت أن أقنعه بأن يكون موظفاً فى الدولة ...

وذلك بأن أظهر أمامه بمظهر الشحاذ ، وأن أنافسه لكي يشعر بأن الفقر هو نهايته ... فإذا أصر على أن يبقى فقيراً فسأشنقه ، وأعلقه فى مصباح النور هذا ... ما قولك يا رئيس الوزراء ؟...

— إن حكمة جلالتكم تذهلنا !...

— أرجوك أن لا تنذهل لشيء لا تفهمه ...

— أمرك يا ملك ...

— والآن انسحبوا جميعاً ... ولا تبتعدوا ... فقد أحتاج إليكم ... لكن بشرط ألا يراكم أحد ...

الحاكى : الجميع ينحنون وينسحبون إلى المؤخرة ... ويجلس الملك فى المقدمة ... على شاطئ نهر الفرات هنا ... وفى هذه اللحظة يصحو الملاك والفتاة كوروبى هناك حيث تركناهما ... اذهب أيها المقلداتى إلى جانب الفتاة حيث كنت الملاك ...

المقلد : نعم ... أنا الآن الملاك ، وأنهض متثائباً بالطبع ... بعد هذا النوم . وقد كنت فى ملابس شحاذ أنا

الآخـــر ... ولى لحيـــة كـــذلك ... وأنت
يا كورولى ؟... كيف حالك الآن ؟... عجباً ...
إلى من تنظرين هناك على شاطئ نهر الفرات ؟...
نعم ... نعم ... هذا إنسان ... أليس كذلك يـا
كورولى ؟...

المقلدة : حقاً ... وهو يرتدى مثل ملابسك أنت ، وله لحية
أيضاً ...

المقلد : إذن لقد قابلنا الرجل الذى نريده يا ابنتى ... لا شك
أنه الشحاذ عاق ، الذى نبحث عنه ...

الحاكى : وينهض الملاك بالطبع ، ويتجه إلى الملك الجالس على
شاطئ نهر الفرات هنا ، وهو يحسبه الشحاذ عاق ،
الذى هبط مع الفتاة من أجله ...

المقلد : يسعدنى أن أعرف الشحاذ عاق ...

ـــ أنا لست عاق الشحاذ ... أنا شحاذ آخر ...

ـــ شحاذ آخر ؟!... أتسمعين يا كورولى ؟... إذن
فالخريطة التى معى خاطئة ... إذن يوجد اثنان من

الشحاذين فى العالم ... والخريطة تقول واحد فقط ... إن هذا الشحاذ الثانى قد غير موقفنا كله ... ومن الضرورى أن نكشف الآن أيهما أكثر فقراً ؟... هل هو الشحاذ عاق ، أو هذا الشحاذ الذى طلع علينا الآن من حيث لا ندرى ؟!...

الحاكى : وفى هذه اللحظة يظهر الشحاذ عاق ، بملابسه المهلهلة ؛ ولحيته هو أيضاً ...

المقلدة : انظر أيها الملاك ... ها هو ذا إنسان آخر ... له نفس الملابس البالية ، وله نفس اللحية ...

المقلد : حقاً يا كورولى ... وإذا لم يكن هذا هو الشحاذ عاق ... وكان شحاذاً جديداً ، فسنقع فى حيرة هائلة ...

الحاكى : ومن الطبيعى أن يهتم الملك بأمر هذا الشحاذ عاق الذى ظهر وهو يشرب من زجاجة خمر ... وأن يبادره بالسؤال ليعرف حقيقته ...

المقلد : أنت ولا شك شحاذ بابل : المسمى عاق ؟...

ـــ إنى لا أهتم بالأسماء ...

ـــ ولكن كل إنسان له اسم ...

ـــ من أنت ؟...

ـــ أنا ... أنا شحاذ أيضاً ...

ـــ إذن فأنت ردىء جداً ... آراؤك من الناحية الشحاذية خاطئة ... فالشحاذ الحقيقى لا شيء له ... لا اسم ولا فلوس ... أى اسم يطلقه على نفسه ... ثم يغير هذا الاسم بنفس السرعة التى يتناول بها قطعة من الخبز ... أنا مثلا أختار ما يعجبنى من الأسماء والأشياء ... أنا كنت كل شىء وأى شىء ... والآن أنا عاق الشحاذ ... ومن الممكن أن أكون ملكا على بابل ...

ـــ مستحيل ...

ـــ ولم لا ... يا هذا ؟!... مستحيل أن أكون ملكا ؟!... هذا شىء من أسهل الأمور ... إنها أول خدعة تتعلمها فى فن الشحاذة ... لقد كنت ملكا

سبع مرات فى حياتى ...

ـ أنا لا أصدق أنك تعرف شيئاً عن ملك بابل ، ملك الملوك !...

ـ هل تظن أنه عظيم ؟!... إنه إنسان ضئيل الجسم والعقل ...

ـ أتكذب التماثيل ؟... كل التماثيل تدل على أنه وسيم ومحترم ...

ـ التماثيل ؟... ومن الذى صنع هذه التماثيل ؟!... إنهم المثالون فى بابل ... وهم يجعلون أى ملك يبدو كأى ملك آخر ... إذا استطاعوا أن يخدعوك ، فإنهم لا يستطيعون أن يخدعونى أنا ... إنى أعرف ملكنا ... إنه مع الأسف لم يأخذ بنصيحتى ...

ـ نصيحتك ؟!...

ـ إنه يستدعينى إلى قصره عندما يصاب بنوبة جنون ...

ـ إلى قصره ؟!...

ـــ أنه أغبى ملك عرفته فى حياتى ... إنه يجد صعوبة فى أن يكون ملكا ...

ـــ طبعاً ... إنها مهمة صعبة جداً أن تحكم العالم ...

ـــ هذا بالضبط ما يقوله الملك دائماً ... وكل ملك عرفته يردد نفس العبارة ... إنه العذر الذى يتقدم به الملوك عادة ... فكل إنسان ليس شحاذا فى حاجة إلى عذر يتعلل به ...

الحاكى : وهذا الشحاذ عاق قد شرب من الزجاجة مرة أخرى والتفت ناظراً إلى الملاك يسأله :

المقلد : من أنت ؟...

ـــ أنا ... شحاذ أيضاً ...

ـــ ما اسمك ؟...

ـــ إنى من قرية لا تعرف فيها الأسماء بعد ...

ـــ وأين توجد هذه القرية الجميلة ؟...

ـــ وراء حدود لبنان ...

ـــ قطعة جميلة !... وماذا تريد منى ؟...

ـــ الأحوال ساءت بالنسبة إلى الشحاذين فى بلادنا ، لدرجة أنى عاجز عن الحياة ... ثم إنى يجب أن أجد طعاماً لابنتى التى تراها واقفة هنا وقد غطت وجهها ...

ـــ الشحاذ الذى يعانى مثل هذه الأزمة لا بد أن يكون من الهواة !...

ـــ إن نقابة الشحاذين قد دفعت نفقات سفرى إلى هذه البلاد لكى أتعرف على الشحاذ الشهير عاق ، فأتعلم منه فن الشحاذة ... وأنا أرجوك أن تعلمنى فنونا أخرى من الشحاذة لكى أصبح شحاذا ناجحاً ...

ـــ نقابتكم قد أحسنت صنعاً ... فما تزال هناك نقابات عاقلة فى الدنيا ...

ـــ نعم ... نعم ... نقابتنا عاقلة جداً ...

المقلدة : إنك تكذب أيها الملاك !...

المقلد : إن السماء لا تكذب يا ابنتى ... ولكن السماء من

حين إلى حين تجد صعوبة فى أن تكون مفهومة للبشر ...

الحاكى : ويلتفت الشحاذ عاق إلى الملك ... ملك بابل ، المتنكر فى أسمال شحاذ ويقول له :

المقلد : وأنت لماذا جئت إلى هنا ؟...

ـــ أنا أشهر شحاذ فى مدينة نينوى ...

ـــ وماذا تريد منى ؟...

ـــ أريد عكس ما يريد هذا الشحاذ الآخر ، الذى جاء يطلب إليك أن تعلمه فنون الشحاذة ... أنا جئت لأقنعك بأننا لا نستطيع أن نستمر فى الشحاذة ... إننا ولا شك نلفت نظر السائحين ، ونضيف شيئا إلى سحر الشرق ... ولكن الدنيا تغيرت ... لقد طلع فجر جديد ... ويجب أن نقبل المرسوم الذى أصدره الملك بتحريم الشحاذة ...

ـــ هذا هو رأيك ؟...

ـــ نعم ... لا مكان للشحاذين فى عالم اشتراكى ...

ـــ هكذا !... هكذا ؟...

ـــ نعم ... كل الشحاذين فى نينوى وبابل وحلب قد عدلوا عن هذه المهنة منذ أصدر ملك الملوك مرسومه ... وقد أعطى العمل والخبز للجميع ... إنهم الآن أحسن حالا مما كانوا عليه من قبل ...

ـــ أهذا حقاً صحيح ؟!...

ـــ مؤكد ... ربما بسبب براعتنا نحن الاثنين فى الشحاذة لم نشعر بالضائقة المالية ... ولكن هناك مساكين عاجزين تماماً عن كسب قوت يومهم ... خصوصاً بعد ازدهار التجارة الآن ... ونحن مثلا لم نعد نكسب ، فى الحد الأدنى للأجور ، مرتبات الشعراء مثلا !...

ـــ هذا كلام فارغ !...

ـــ بل أكيد ... صدقنى ... صدقنى ... ولهذا السبب فإننى يا سيدى العزيز قررت أن أعدل عن الشحاذة وأن أكون موظفاً فى قصر صاحب

الجلالة ... وأرجوك أن تفعل مثلى ، وأن تقابل وزير المالية فى الثامنة صباحاً ... إنها آخر فرصة لكى ننفذ هذا القانون ... فالملك رجل حساس جداً ... وقد يضطر إلى شنقك فى هذا العمود الذى تستند إليه ...

ـــ وتقول عن نفسك أنك أشهر شحاذ فى نينوى ؟!...

ـــ فعلا ... أنا أشهر شحاذ هناك ...

ـــ ولا تكسب أكثر من الشعراء ؟!...

ـــ ليس أكثر ...

ـــ لا بد أن هناك خللا فى أسلوبك فى الشحاذة ... إننى وحدى أعول خمسين من شعراء بابل ...

ـــ ربما كانت مكاسب الشعراء فى نينوى أكثر مما يكسبه الشعراء هنا فى بابل ...

ـــ أنت كبير شحاذى نينوى ، وأنا كبير الشحاذين فى بابل ... وطالما تمنيت أن أدخل فى مباراة مع شحاذ آخر ... فلندخل إذن معاً فى مباراة ... فإذا كسبت

أنت المباراة التحقنا بالعمل فى الحكومة فى الثامنة من صباح الغد ... وإذا كسبت أنا نستمر فى الشحاذة ، دون أن نهتم بما يهدد صناعتنا من قرارات رسمية ... نحن الآن عند الفجر ... وهذا أسوأ وقت للشحاذين ... لكنها فرصة على كل حال لاختبار قدراتنا ... ما قولك ؟...

— قبلت ...

الحاكى : وهنا بالطبع يجد الملاك الموقف طريفاً ومساعداً له على إنجاز مهمته ... ولا يخفى ابتهاجه عن الفتاة التى جاء بها من السماء هدية لأفقر الرجال ...

المقلد : يا عزيزتى الصغيرة هذه لحظة تاريخية ... وأنت ستعرفين حالا من سيكون زوجك ... إنه أفقر وأحقر الاثنين ...

المقلدة : وكيف لى أن أعرف ذلك أيها الملاك ؟...

المقلد : بسيطة جداً يا ابنتى .. فالذى يخسر فى هذه المبارزة لا بد أن يكون أفقر الناس وأحقرهم ...

الحاكى : ها هما اثنان من العمال يقدمان من ناحية اليسار ...
وقد رآهما الشحاذ عاق ...

المقلد : نعم ... رأى اثنين من العمال مقبلين من الضواحى ... ليس معهما طعام ... وأمامهما ثلاث ساعات من المشى حتى يبلغا مضارب الطوب ... تقدم أنت نحوهما يا شحاذ نينوى ... وابدأ التسول منهما ...
ـــ حسنة أيها العامل الشريف ... حسنة لرفيق لكما سقط جريحاً فى مناجم نينوى ...

الحاكى : يبدو أن هذا العامل الذى تقدم إليه لم يقتنع بسؤاله ، بل أجابه بلهجة ساخرة ...

المقلد : العامل الشريف ؟!... لا تتكلم بهذه الحماقة !... تطلب منى حسنة فى زمن تستخدم فيه الدولة الجرانيت بدلا من الطوب ؟!...

الحاكى : وها هو ذا رفيقة العامل الثانى يعقب :

المقلد : لأن الجرانيت يعيش إلى الأبد ...

الحاكى : والآن جاء دور الشحاذ عاق فى مباراة التسول ... إنه يواجه العاملين بقدم ثابتة :

المقلد : قرش من كل واحد منكما .. إننا نحاول المستحيل لكى نعيش ... قولا لأصحاب مضارب الطوب أن يذهبوا إلى جهنم ... أعطونى قرشا ... إننى أحد أبناء الطبقة العاملة التى تفضل الشحاذة على أن يستغلها أى إنسان آخر ...

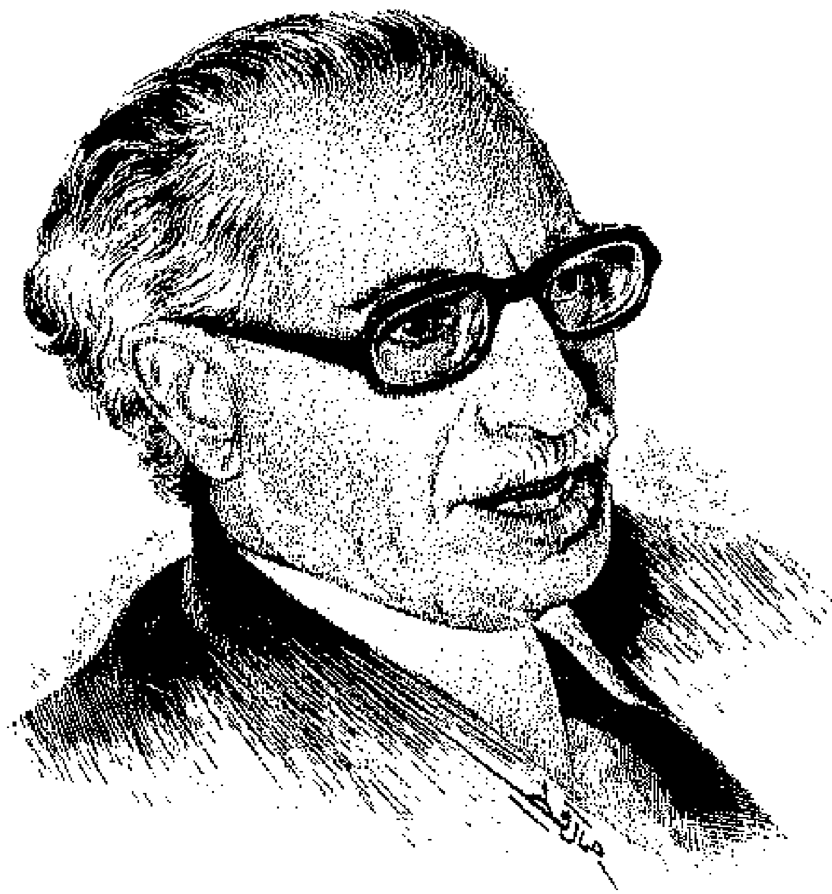
الحاكى : لقد صادف هذا القول من الشحاذ عاق هوى فى نفس العاملين ، فأعطاه كل منهما قرشاً ، ومضيا إلى عملهما ... وها هو الشحاذ عاق يمسك بالقرشين ويطوحهما فى الهواء ...

المقلد : لقد كسبت الجولة الأولى !...

الأستاذ علي احمد باكثير

— اخناتون ونفرتيتي
— سلامة القس
— وا اسلاماه
— قصر الهودج (قصة شعرية)
— الفرعون الموعود
— شيلوك الجديد
— عودة الفردوس
— روميو وجولييت
(مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
— سر الحاكم بأمر الله
— ليلة النهر
— السلسلة والغفران
— الثائر الاحمر
— الدكتور حازم
— ابو دلامة (مضحك الخليفة)
— مسمار جحا
— مأساة أوديب
— سر شهرزاد
— سيرة شجاع
— شعب الله المختار
— امبراطورية في المزاد
— الدنيا فوضى
— ابراهيم باشا
— الشيماء

رقم الإيداع ٣٣٦ / ١٩٨٨
الترقيم الدولى ٢ ـــ ٠٩٦ ـــ ١١ ـــ ٩٧٧



الثمن ٢٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه